

العنوان:	موقف ابن حزم من المعتقدات اليهودية
المؤلف الرئيسي:	منصور، مريم أحمد علي
مؤلفين آخرين:	الشكري، عبدالله إبراهيم محمد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2017
موقع:	ام درمان
الصفحات:	1 - 257
رقم MD:	925839
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة دكتوراه
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية أصول الدين
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	المعتقدات اليهودية، ابن حزم، علي بن أحمد، ت. 456 هـ، التراجم، علم مقارنة الأديان، الشريعة الإسلامية، الإسلام واليهودية
رابط:	<a href="http://search.mandumah.com/Record/925839">http://search.mandumah.com/Record/925839</a>

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

أسلوب APA

منصور، مريم أحمد علي، و الشكري، عبدالله إبراهيم محمد. (2017). موقف ابن حزم من المعتقدات اليهودية (رسالة دكتوراه غير منشورة). جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان. مسترجع من  
<http://search.mandumah.com/Record/925839>

أسلوب MLA

منصور، مريم أحمد علي، و عبدالله إبراهيم محمد الشكري. "موقف ابن حزم من المعتقدات اليهودية" رسالة دكتوراه. جامعة أم درمان الإسلامية، أم درمان، 2017. مسترجع من  
<http://search.mandumah.com/Record/925839>

## **الباب الثالث**

**تناقض اليهود العقدي والفكري والتاريخي**

**ورد ابن حزم عليه**

**وفيه ثلاثة فصول:**

**الفصل الأول: عقائد اليهود في التوراة**

**الفصل الثاني: تناقض اليهود الفكري والتاريخي**

**الفصل الثالث: ابن حزم ودوره في حوار الأديان**

# **الفصل الأول: عقائد اليهود في التوراة**

## **وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: الإلهيات والنبؤات في التوراة**

**المبحث الثاني: الملائكة والبحث في التوراة**

## تمهيد

تتناول هذا الفصل جانباً من جوانب المعتقدات اليهودية من خلال كتابهم المحرّف التوراة وموقف ابن حزم منها، وجهوده ودفاعه عن العقيدة الإسلامية، وبيان ما في كتبهم من ضلالٍ وكذبٍ ليثبت أنّها من صنع البشر وإنّها محرّفة ولم تكن من لدن حكيمٍ عليم.

وقد كان لليهود في عصره مكانة عند الساسة (ملوك الطوائف) استطاعوا أن يصلوا بها إلى أرقى المناصب في الدولة ويكيدوا للمسلمين بتشويه أفكارهم والاعتداء على مقدساتهم. ويتكون من مبحثين : المبحث الأول: الإلهيات والنبوءات من خلال التوراة ورد ابن حزم عليها، والثاني: الملائكة والبعث من خلال التوراة ورد ابن حزم عليها.

## المبحث الأول: الإلهيات والنبؤات في التوراة

يتحدث هذا المبحث عن نماذج من معتقدات اليهود في الإلهيات والنبؤات من خلال التوراة المُحرَّفة ورد ابن حزم عليها.

### أولاً: الإلهيات.

أ/ مسألة التشبيه والتجسيم:

ذكر الإمام ابن حزم في كتابه الفصل كذب اليهود وتحريفهم في التوراة في مسألة تشبيه الخالق بالمخلوق وذلك في قولهم: [أصنع آدم كصورتنا كشبيهاً<sup>(١)</sup>]. وعلق ابن حزم على هذا النص بقوله: [لو لم يقل إلا كصورتنا لكان له وجه حسن ومعنى صحيح، وهو أن نضيف الصورة إلى الله إضافة الملك والخلق، كما تقول: هذا عمل الله أو هذه صورة الله أي تصوير الله والصفة التي انفرد بملكها وخلقها. ولكن قوله: [كشبيهاً] منع التأويلات وسد المخارج وقطع السبل وأوجب شبه آدم لله عز وجل... وهذا يُعلم بطلانه ببديهة العقل، الشبه والمثل معناهما واحد، وحاشا لله أن يكون له مثل أو شبه<sup>(٢)</sup>].

أما النص الوارد في التوراة الحالية اليوم [وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبيهاً. فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكراً وأنثى خلقهم<sup>(٣)</sup>]. هذا النص الوارد في التوراة الحالية فيه تغيير غير النص الوارد في التوراة التي أخذ منها الإمام ابن حزم في نقضه وتكذيبه لنصوص التوراة في زمانه، وهذا ما يُدَلِّل على تحريف وتبديل التوراة المستمر عبر الأزمنة.

وذكر الإمام في موضع آخر أيضاً: [وقال الله هذا آدم قد صار كواحد منا في معرفة الخير والشر والآن كيلا يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيى إلى الدهر فطرده الله من جنات عدن<sup>(٤)</sup>].

---

(١) كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ٩٥

(٢) نفس المصدر، ص ٩٥

(٣) الكتاب المقدس [كتاب العهد القديم والعهد الجديد]/ دار الكتاب المقدس، الشرق الأوسط، سفر التكوين، الإصحاح الأول /٢٦، ٢٧.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ٩٧

ويعلق الإمام ابن حزم على هذا النص قائلاً: [ حكايتهم عن الله تعالى أنه (قال هذا آدم قد صار كواحدٍ منا) مصيبة من مصائب الدهر وموجب ضرورة أنهم آلهة أكثر من واحد ولقد أدى هذا القول الخبيث المفترى كثيراً من خواص اليهود إلى الاعتقاد أن الذي خلق آدم لم يكن إلا خلقاً خلقه الله تعالى قبل آدم وأكل من الشجرة التي أكل منها آدم فعرف الخير والشر ثم أكل من شجرة الحياة فصار إلهاً من جملة الآلهة نعوذ بالله من هذا الكفر الأحمق، ونحمده إذ هدانا للملة الزهراء<sup>(١)</sup> الواضحة التي تشهد سلامتها من كل دَخْن بأنها من عند الله تعالى<sup>(٢)</sup>].

أما النص الوارد في التوراة الحالية اليوم: [ وقال الربّ الإله هوذا الإنسان قد صار كواحدٍ منا عارفاً الخير والشر. والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها<sup>(٣)</sup>].

نجد اختلافاً في النصين وهذا ما يدل على التحريف والتبديل المستمر للتوراة على مدى العصور.

أما عن مسألة التجسيم: ذكر الإمام ابن حزم في كتابه الفصل، صور من التجسيم التي وردت في توراتهم المُحرَّفة منها: [ أن الله عز وجل قال لبني إسرائيل: لقد رأيتموني كلكم من السماء فلا تتخذوا معي آلهة الفضة. ثم قال بعد ذلك ثم صعد موسى وهارون.... ونظروا إلى إله إسرائيل وتحت رجله كلبنة من زمرد فيروزية<sup>(٤)</sup> وكسما صافية ولم يمد الرب يده إلى خيار بني إسرائيل الذين نظروا إلى الله وأكلوا وشربوا وقال بمقربة من ذلك وكان منظر عظمة السيد كنارٍ آكلةٍ في قرن الجبل يراه جماعة من بني إسرائيل<sup>(٥)</sup>].

(١) الزهراء: أزهري: أبيض صافٍ مضيء مُشرق. معجم اللغة العربية المعاصرة/ أحمد مختار ج ٢، ص ١٠٠٣

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ٩٧

(٣) سفر التكوين، الإصحاح الثالث/ ٢٢ - ٢٣

(٤) (نجد اختلافاً في هذا النص الذي أورده ابن حزم عن النص الوارد في الأسفار الآن [وتحت رجله شبيه

صنعة من العقيق الأزرق الشفاف] سفر الخروج، الإصحاح الرابع والعشرون/ ٩، ١٠، ١١، ١٧

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ١٢٣

علّق الإمام ابن حزم على ذلك بقوله: [ هذا تجسيم لا شك فيه تشبيه لا خفاء به وليس هذا كقول الله تعالى: [وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا] <sup>(١)</sup> ، ولا كقول الله تعالى: [إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ] <sup>(٢)</sup> ، ولا كقول رسول الله ﷺ: [يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ فِي ثَلَاثِ اللَّيْلِ الْبَاقِي إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا] <sup>(٣)</sup> ، لأنّ هذا كله على ظاهره بلا تكلف تأويل إنما هي أفعال يفعلها الله عز وجل تسمى مجيئاً وإتياناً وتنزيلاً ولا مثل قوله تعالى: [يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ] <sup>(٤)</sup> ، [وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ] <sup>(٥)</sup> وسائر ما في القرآن من مثل هذا فكله ليس بمعنى الجارحة لكن على وجوه ظاهرة في اللغة قد بيّناها في غير هذا المكان عُمِدَتُهَا أَنَّ كل ذلك خبر عن الله تعالى لا يرجع بشيء من ذلك إلى سواه أصلاً ثم كيف يجتمع ما ذكرنا عن توراتهم مع قوله في السفر الخامس: كلمكم الله من وسط اللهيّب فسمعتهم صوته ولم تروا له شخصاً وهاتان قضيتان تُكذِّب كل واحدة منهما الأخرى ولا بد] <sup>(٦)</sup>.

أما عن النص الوارد في التوراة الحالية: [.. يارب قد ظهرت لهم عيناً لعين، وسحابتك واقفة عليهم، وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهاراً وعمود نار ليلاً] <sup>(٧)</sup>. ونلاحظ هنا اختلاف النص مما يدل على استمرار التحريف في التوراة على يد اليهود.

في موضع آخر أيضاً ذكر الإمام ما جاء في المزمور الحادي والثمانين [ قام الله في مجتمع الآلهة وقف إله العزة في وسطهم يقضي] <sup>(٨)</sup> ، وعلّق على ذلك بقوله: [وهذه حماقة ممزوجة بكفر سمج مُجتمع الآلهة وقيام الله بينهم ووقوفه في وسط

(١) سورة الفجر : الآية ٢٢

(٢) سورة البقرة : الآية ٢١٠

(٣) سنن أبي داود، كتاب التطوع، باب أي الليل أفضل، حديث ١٣١٧. بلفظ آخر

(٤) سورة الفتح : الآية ١٠

(٥) سورة الرحمن : الآية ٢٧

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ١٢٤

(٧) سفر العدد الإصحاح الرابع عشر/ ١٤ - ١٥

(٨) الفصل في الملل/ ابن حزم، ج ١، ص ١٥٤

أصحابه ما شاء الله كان إلا أن هذا أخبث من قول النصارى لأن الآلهة عند النصارى من ثلاثة وهم عند هؤلاء السفلة الأراذل جماعة ونعوذ بالله من الخذلان<sup>(١)</sup>. أما النص الوارد في المزامير الحالية: [الله قائم في مَجْمَعِ الله في وسط الآلهة يقضي]<sup>(٢)</sup>. هنا نجد اختلاف النص أيضاً.

ونذكر ما جاء في كتاب (لشيعا) أنه رأى الله عز وجل شيخاً أبيض الرأس واللحية معقّباً: [وهذا تشبيهه حاشا لنبي أن يقوله]<sup>(٣)</sup>.

أما في كتاب (شعر توما) ورد قوله: [وفي كتاب لهم يسمى شعر توما من كتاب التلمود، والتلمود هو مَعْوَلُهُم وعمدتهم في فقههم وأحكام دينهم وشريعتهم وهو من أقوال أبحارهم بلا خلاف من أحد منهم، ففي الكتاب المذكور أن تكسير جبهة خالقهم من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراع حاشا الله من الصور والمساحات والحدود والنهايات. وفي كتاب آخر من التلمود ويقال له (سادرناشيم) ومعناه تفسير أحكام الحيض أن في رأس خالقهم تاجاً فيه ألف قنطار من ذهب وفي أصبعه خاتم تُضئ منه الشمس والكواكب وأن الملك الذي يخدم ذلك التاج اسمه صندلفون تعالى الله عن هذه الحماقات]<sup>(٤)</sup>.

وجاء في موضع آخر من مناظرات الإمام ابن حزم في الرد على ابن النغيلة اليهودي: [وكان يكلم السيد موسى فما لفم؛ كما يكلم المرء صديقه] معلقاً بقوله: [ليست هذه صفة الله تعالى، وإنما هي صفات المخلوقين، وفيه التكليم فما لفم وتحقيق التجسيم]<sup>(٥)</sup>.

وهذه نماذج من صور التشبيه والتجسيم في المعتقدات اليهودية في الإلهيات ورد ابن حزم عليها.

---

(١) الفصل في الملل/ ابن حزم، ج ١، ص ١٥٤

(٢) المزامير، ١/٨٢

(٣) الفصل في الملل/ ابن حزم، ج ١، ص ١٥٥

(٤) نفس المصدر، ص ١٦٣ - ١٦٤

(٥) الرد على ابن النغيلة اليهودي/ ابن حزم الأندلسي؛ تحقيق: إحسان عباس، ط ١، بيروت: المؤسسة العربية

للدراسات والنشر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٥٢، الفصل، ج ١، ص ١٢٦

أما ما ذكره القرآن الكريم في كثير من آياته رداً وتكذيباً لهؤلاء اليهود الذين حرّفوا وبدّلوا في التوراة حسب أهوائهم ورغباتهم الدنيوية:

قوله تعالى: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ<sup>ط</sup> وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ]<sup>(١)</sup>

قال الإمام ابن تيمية في إثبات الصفات والأسماء لله تعالى ان يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله نفيّاً وإثباتاً فيثبت لله ما أثبتته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه وقد علم أنّ طريقة سلف الأمة وأئمتها ، إثبات ما أثبتته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ، ومن غير تحريف ولا تعطيل ، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه - مع ما أثبتته من الصفات من غير الحاد، لا في أسمائه ولا في آياته فإن الله ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قال تعالى [وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا<sup>ط</sup> وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ<sup>ج</sup> سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ]<sup>(٢)</sup>، فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات ، مع نفي مماثلة المخلوقات ، إثباتاً بلا تشبيه ، وتنزيهاً بلا تعطيل كقوله تعالى: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ<sup>ط</sup> وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] ، ففي قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ<sup>ط</sup>) رد للتشبيه والتمثيل ، وقوله: (السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) رد للإلحاد والتعطيل]<sup>(٣)</sup>.

جاء في كتاب صفات الله وآثارها في إيمان العبد: [من أعظم ما أوجبه الله على عباده أن يعرفوه سبحانه كما أخبر عن نفسه، وكما أخبر عنه نبيه محمد ﷺ، فيعرفوا أسمائه وصفاته كما ورد في النصوص بغير زيادة ولا نقصان، والقاعدة

(١) سورة الشورى : الآية ١١

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٨٠

(٣) الرسالة التدمرية : تحقيق الاثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع/ تقي الدين ابوالعباس أحمد

بن عبد الحليم بن عبيد السلام بن عبدالله بن ابي القاسم بن محمد ابن يثمية الحراني الحنبلي

الدمشقي(ت٧٢٨هـ/١٣٢٨م) تحقيق محمد بن عودة السعودي، ط ٦، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

، ص ٧-٨، عقيدة المؤمن/ أبو بكر الجزائري ، المكتبة التوفيقية ، ص ٦٦ - ٦٧

الجامعة المانعة التي تمنع العقول من التعدي في أسماء الله وصفاته هي قوله تعالى: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [١].

أما ما جاء في كتاب أسماء الله تعالى وصفاته وموقف أهل السنة منها: رداً على هؤلاء المشبهة والمجسمة من اليهود بقوله: [أما موقف أهل السنة والجماعة في الصفات فهو: إثبات كل صفة وصف الله بها نفسه، أو وصفه بها رسوله ﷺ، لكن إثباتاً بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، سواءً كانت هذه الصفة من الصفات الذاتية أم من الصفات الفعلية] [٢].

وضح الباحث الصفات الذاتية والفعلية وأورد بعض الأمثلة:

فذكر بأن الصفات الذاتية هي التي تكون ملازمة لذات الخالق أي أنه متصف بها أزلاً وأبداً. وأما الصفات الفعلية هي التي تتعلق بمشيئة فيفعلها الله تبعاً لحكمته - سبحانه وتعالى -.

ومثل للأولى: صفة الحياة صفة ذاتية لأن الله لم يزل ولا يزال حياً، كما قال الله تعالى هُوَ (الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ) [٣] وفسرها النبي ﷺ بقوله: [اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ] [٤]. وقوله تعالى أيضاً: [وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ] [٥]. وكذلك السمع والبصر والقدرة كل هذه من الصفات الذاتية لملازمتها للذات.

أما عن أمثلة الصفات الفعلية كما ذكر الباحث: [استوائه على العرش، ونزوله إلى السماء الدنيا.

---

(١) صفات الله وآثارها في إيمان العبد/محمد حسن عبد الغفار، الموسوعة islamweb.net

(٢) أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنة منها/محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ط ١،

السعودية، دار الشريعة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص ١٥

(٣) سورة الحديد : الآية ٣

(٤) مسلم، كتاب الدعوات باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، حديث رقم ٢٧١٣

(٥) سورة الفرقان : الآية ٥٨

فالاستواء على العرش من الصفات الفعلية لأنه متعلق بمشيئته كما قال تعالى: [إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ] <sup>(١)</sup>.

النزول إلى السماء الدنيا، وصفه به أعلم الخلق به، رسول الله ﷺ فقال: [يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ] <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>، وهذا النزول من الصفات الفعلية لأنه متعلق بمشيئة الله تعالى. فأهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك، ولكنهم في هذا الإيمان يتحاشون التمثيل، والتكييف، أي أنهم لا يمكن أن يقع في أنفسهم أن نزوله كنزول المخلوقين، أو استوائه على العرش كاستوائهم أو إتيانه للفصل بين عباده كإتيانهم لأنهم يؤمنون بأن الله: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] ويعلمون بمقتضى العقل ما بين الخالق والمخلوق من التباين العظيم في الذات، والصفات، والأفعال، ولا يمكن أن يقع في نفوسهم كيف ينزل أو كيف استوى على العرش؟ أو كيف يأتي إلى الفصل بين عباده يوم القيامة؟ أي أنهم لا يكتفون صفاته مع إيمانهم بأن لها كيفية لكنها غير معلومة لنا، وحينئذ لا يمكن أبداً أن يتصوروا الكيفية، ولا يمكن أن ينطقوا بها بالسنتهم أو يعتقدونها في قلوبهم كما فعل اليهود في توراتهم المَحَرَّفَة كما ذكر آنفاً في مسألة التشبيه والتجسيم من خلال التوراة ورد ابن حزم عليها.

يقول الله تعالى: [وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً] <sup>(٤)</sup>. ويقول أيضاً: [قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٤

(٢) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، حديث رقم ١١٤٥، صحيح

مسلم، كتاب الصلاة، باب ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة، حديث رقم ١٧٢١

(٣) أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنة منها/محمد بن صالح بن محمد العثيمين(ت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)،

ص ١٥ - ٢٠

(٤) سورة الإسراء : الآية ٣٦

ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا  
وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ<sup>(١)</sup>. ولأنَّ اللهَ أَجَلٌ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُحِيطَ بِهِ الْأَفْكَارُ  
قَالَ تَعَالَى: [يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا تُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا]<sup>(٢)</sup>.

وجه الباحث سؤالاً: [وَأَنْتَ مَتَى تَخِيلْتَ أَيَّ كَيْفٍ فَعَلِي أَيَّ صُورَةٍ تَتَخِيلُهَا؟! إِنْ  
حَاولْتَ ذَلِكَ فَإِنَّكَ فِي الْحَقِيقَةِ ضَالٌّ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَصِلَ إِلَى الْحَقِيقَةِ لِأَنَّ هَذَا أَمْرٌ لَا  
يُمْكِنُ الْإِحَاطَةَ بِهِ، وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْعَبْدِ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِيهِ أَوْ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ. وَذَكَرَ مَا قَالَهُ  
الْإِمَامُ مَالِكٌ عِنْدَمَا سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: [الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى]<sup>(٣)</sup> كَيْفَ  
اسْتَوَى؟ فَأَطْرَقَ مَالِكٌ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلَاهُ الرَّمْضَاءُ - يَعْنِي الْعِرْقُ وَصَارَ يَنْزِفُ عِرْقاً -  
لأنَّه سَأَلَ عَظِيمًا. ثُمَّ قَالَ تِلْكَ الْكَلِمَةُ الْمَشْهُورَةُ: (الاستواءُ معلومٌ والكيفُ مجهولٌ،  
والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ).

وروي عنه أيضاً أنه قال: [الاستواءُ غيرُ مجهولٌ، والكيفُ غيرُ معقولٌ،  
والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ].

يعني ذلك أننا نعلم معاني صفات الله، ولكننا لا نعلم الكيفية ولا يحل لنا أن  
نسأل عن الكيفية ولا يحل لنا أن نُكَيِّفَ كما أنه لا يحل لنا أن نُمَثِّلَ أو نُشَبِّهَ لأنَّ اللهَ  
تعالى يقول في القرآن: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ]<sup>(٤)</sup> (٥).

وجاء في كتاب منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات: أنَّ كثرة الخوض  
والتعمق في البحث في آيات الصفات وكثرة الأسئلة عن ذلك الموضوع من البدع  
التي يكرهها السلف. وأنَّ مبحث آيات الصفات دلَّ القرآن العظيم أنه يركز على  
ثلاثة أسس من جاء بها كلها فقد وافق الصواب وكان على الاعتقاد الذي كان عليه

(١) سورة الأعراف : الآية ٣٣

(٢) سورة طه : الآية ١١٠

(٣) سورة طه : الآية ٥

(٤) أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنة منها/ العثيمين، ص ١٥ - ٢٠

(٥) نفس المصدر والصفحة

النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح ومن أخلَّ بواحد من تلك الأسس الثلاثة فقد ضل وكل هذه الأسس الثلاثة يدل عليها قرآن عظيم.

أحد هذه الأسس هو تنزيه الله جلَّ وعلا على أن يشبه بشيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين وهذا يدل عليه قوله تعالى: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] <sup>(١)</sup> و [وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ] <sup>(٢)</sup> ، [فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] <sup>(٣)</sup>. الثاني من هذه الأسس هو الإيمان بما وصف الله به نفسه لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله [قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ] <sup>(٤)</sup> والإيمان بما وصفه به رسول الله ﷺ الذي قال في حقه: [وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ] <sup>(٥)</sup> فيلزم كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ ويُنزّه ربه جلَّ وعلا عن أن تشبه صفته صفة المخلوقين. ومن ظن أن صفة خالق السماوات والأرض تشبه شيئاً من صفات الخلق فهذا مجنون جاهل ملحد ضال ومن آمن بصفات ربه جلَّ وعلا منزهاً ربه عن مشابهة صفاته لصفات الخلق فهو مؤمن مّزّه سالم من ورطة التشبيه والتعطيل وهذا التحقيق هو مضمون قوله: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] فهذه الآية فيها تعليم عظيم يحل جميع الإشكالات ويجيب عن جميع الأسئلة حول الموضوع، ذلك لأنَّ الله قال [وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] بعد قوله [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ] ومعلوم بأن السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر يتصف بهما جميع المخلوقات فكأنَّ الله يُشير للخلق ألا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره بادعاء أنَّ الحوادث تسمع وتبصر وأنَّ ذلك تشبيه بل عليهم أن يثبتوا له صفة سمعه وبصره على أساس ليس كمثل شيء فالله جلَّ وعلا له صفات لا تُلْقى

(١) سورة الشورى : الآية ١١

(٢) سورة الإخلاص : الآية ٤

(٣) سورة النحل : الآية ٧٤

(٤) سورة البقرة : الآية ١٤٠

(٥) سورة النجم : الآيات ٣ - ٤

بكماله وجلاله والمخلوقات لهم صفات مناسبة لحالهم وكل هذا حق لا شك فيه إلا أنَّ صفة رب السماوات والأرض أعلى وأكمل من أن تشبه صفات المخلوقين فمن نفى عن الله وصفاً أثبتته لنفسه فقد جعل نفسه أعلم بالله من الله سبحانه هذا بهتان عظيم. من ظن أنَّ صفة ربه تشبه شيئاً من صفة الخلق فهذا مجنون ضال ملحد لا عقل له يدخل في قوله تعالى عن المشركين: [تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾] إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>.

ثانياً: نماذج من تشبيه الإله بالصفات البشرية:

#### ١ - نسبة الأولاد لله تعالى عند اليهود:

ذكر الإمام ابن حزم في الفصل قولهم في ذلك: [فلما ابتدأ الناس يكثرُونَ على ظهر الأرض وولد لهم البنات فلما رأى أولاد الله بنات آدم إنهن حسان اتخذوا منهن نساء وقال بعد ذلك كان يدخل بنو الله إلى بنات آدم ويولد لهم حراماً وهم الجبابرة<sup>(٣)</sup> الذين على الدهر لهم أسماء] وعلق الكاتب [وهذا حمق ناهيك به وكذب عظيم إذ جعل لله أولاداً ينجسون بنات آدم وهذه مصاهرة تعالى الله عنها]<sup>(٤)</sup>.

أما عن النص الوارد في التوراة الحالية: [وحدث لما ابتدأ الناس يكثرُونَ على الأرض وولد لهم بنات، أنَّ أبناء الله رأوا بنات الناس إنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم

(١) سورة الشعراء : الآيات ٩٧ - ٩٨

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات/ محمد الأمين ابن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي

(ت١٣٦٣هـ/١٩٤٤م)، ط٤، الكويت: دار الفقيه، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. ص ٩ - ١٢

(٣) الجبابرة: وهم من ولد الأوذ ابن سام ومنهم : فارس وجوجان وعمليق وهو أبو العماليق الذين منهم جبابرة الشام الذين يقال لهم: الكنعانيون. ومنهم الفراعنة بمصر. وأما إرم بن سام بن نوح فمن أولاده: ثمود وهم قوم صالح، وكانت منازلهم باليمن منع إخوانهم بنو عاد بن إرم، وانتقلوا من اليمن بعد ما تغلبت عليهم بنو يعرب بن قحطان، فنزلوا الحجر وهم قوم صالح، وهم معدودون في العرب البادية. المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب/عبد الرحمن بن حمد بن زيد المغيرة اللامي (ت١٣٦٤هـ/١٩٤٥م)، جدة السعودية: دار النشر دار

المدني، ٢٠٠٧م. ص ٢

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج١، ص ٩٧

نساء من كل ما اختاروا. وبعد ذلك أيضاً إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً. هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذور اسم<sup>(١)</sup>.

ورد القرآن الكريم على كذب هؤلاء اليهود وافتراءاتهم على الله تعالى بقوله تعالى في سورة مريم: [وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٨] تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٨٩ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩٠ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩١ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝٩٢ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٣ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۝٩٤] وفي سورة الكهف قوله تعالى: [وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝١] مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٢]، وفي سورة الفرقان أيضاً قوله تعالى: [الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ۝٤]

## ٢ - نسبة التعب والنصب إلى الله تعالى:

ورد في التوراة: [فأكملت السماوات والأرض وكل جندها. وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقَدَّسه. لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً<sup>(٥)</sup>].

(١) سفر التكوين، الإصحاح السادس/١، ٢، ٥

(٢) سورة مريم : الآيات ٨٨ - ٩٥

(٣) سورة الكهف : الآيات ٤ - ٥

(٤) سورة الفرقان : الآية ٢

(٥) سفر التكوين، الإصحاح الثاني / ١ - ٣. نجد تعارض في النص..[فرغ في اليوم السابع واستراح في اليوم

السابع، مما يدل على استمرار التحريف]

وعَلَّقَ الإمام ابن حزم على قولهم في التوراة: [أَنَّ الله تعالى خلق الخلق في ستة أيام، واستراح في اليوم السابع] في رده على ابن النخيلة اليهودي بقوله: [وهل تكون الراحة إلا لتعب ونصب قد خارت قواه وضعفت طبيعته؟ فمثل هذا وشبهه من دينه الخسيس]<sup>(١)</sup>.

إن صفة التعب والحاجة إلى الراحة صفة نقص وضعف وعجز وهذا لا يليق بالله تعالى المتصف بصفات الكمال المنزه عن النقص ويرد القرآن الكريم على هذا الافتراء الكاذب لليهود بقوله تعالى: [وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ]<sup>(٢)</sup>

### ٣- نسبة البداء<sup>(٣)</sup> إلى الله تعالى:

من كذب اليهود وافتراءاتهم في هذا الجانب ذكر في الفصل: [أن الله عز وجل قال لموسى دعني أغضب وأهلكهم وأقدمك على أمة عظيمة وأن موسى رغب إليه وقال له تَذَكَّرْ إبراهيم وإسرائيل وإسحاق عبيدك الذين خلقتهم بيدك وقلت لهم سأكثر ذريتكم حتى يكونوا كنجوم السماء وأورثتهم جميع هذه الأرض التي وعدتهم بها ويملكونها، فحن السيد ولم يتم ما كان أراد إنزاله من المكروه بأمته]<sup>(٤)</sup>.

أما النص الوارد في التوراة الحالية: [وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعبٌ صُلْبُ الرقبة. فالآن أتركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم. فأصيرك

---

(١) كتاب الرد على ابن النخيلة اليهودي/ ابن حزم، ص ٤٨

(٢) سورة ق : الآية ٣٨

(٣) البداء في اللغة: بَدَأَ وَبَدَأَ وَبَدَاءَ وَبَدَأَ وَبَدَأَ: ظهر، وأبديته. وَبَدَأَوهُ الشَّيْءُ: أول ما يَبْدُو منه. وبإدري الرأي: ظاهره وَبَدَأَ له في الأمر بَدَأَ وَبَدَاءَ وَبَدَاءَ: نشأ له فيه رأي وهو: ذو بداواتٍ. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ/١٤١٤م)، ط ٨، بيروت (لبنان): مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. ص ١٢٦١

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ١٢٥

شعباً عظيماً. فتضرع موسى أمام الرب إلهه. وقال لماذا يا رب يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويدٍ شديدة. لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض. إرجع عن حُمُو غضبك واندم على الشر بشعبك. اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أَكْثَرُ نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد. فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه<sup>(١)</sup>. يُلاحظ اختلاف النصين مما يدل على استمرار التحريف.

يُعلق الإمام ابن حزم على هذا بقوله: [في هذا الفصل عجائب أحدها إخباره بأن الله تعالى لم يتم ما أراد إنزاله من المكروه بهم وكيف يجوز أن يريد الله عز وجل إهلاك قوم قد تقدم وعده لهم بأمر ولم يتمها لهم بعد، وحاش لله، من أن يُريد إخلاف وعده فيرد الكذب. وثانيها نسبتهم البداء إلى الله عز وجل، وحاش لله من ذلك، وأما البداء فمن صفات من يهم بالشيء ثم يبدو له غيره وهذه صفة المخلوقين. لا صفة من لم يزل: [إِنَّ اللَّهَ لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ]<sup>(٢)</sup>، وثالثها قوله فيها ويملكونها وهذا كذب ظاهر ما ملكوها إلا مرة ثم خرجوا عنها إلى الأبد والله تعالى لا يكذب ويخلف وعده<sup>(٣)</sup>.

وذكر في موضع آخر أيضاً: [أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِمُوسَى أَذْهَبْ وَاصْعد من هذا الموضع أنت وأمتك التي أخرجت من مصر إلى الأرض التي وعدت بها مقسماً إبراهيم وإسحاق ويعقوب لأورثها نسلهم وأبعث بين يديك ملكاً لإخراج

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح الثاني والثلاثون/ ٩ - ١٤

(٢) سورة آل عمران : الآية ٥

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ١٢٦

الكنعانيين<sup>(١)</sup> والأموريين<sup>(٢)</sup> والحيثيين والفرزيين<sup>(٣)</sup> والحويين<sup>(٤)</sup> واليبوسيين<sup>(٥)</sup> تدخل في أرض تقيض لبناً وعسلاً لست أنزل معكم لأنكم أمة قساة الرقاب لئلا تهلك بالطريق فلما سمعت العامة هذا الوعيد الشديد عجبت ولم تأخذ زينتها فقال السيد لموسى قل لبني إسرائيل أنتم أمة قد قست رقابكم سأنزل عليكم مرة وأهلكم فضعوا زينتكم لأعلم

(١)الكنعانيون(Cannanites): كلمة «كنعاني» هي صيغة النسب إلى «كنعان» ، هم نسل كنعان بن حام بن نوح. وقد صُنّفوا في العهد القديم باعتبارهم من الحاميين مع أنهم من الساميين ولغتهم سامية، وذلك ربما لتبرير الحروب التي نشبت بينهم وبين العبرانيين. لكن الكنعانيين، في الواقع، قبائل سامية نزحت منذ زمن بعيد من صحراء شبه الجزيرة العربية أو الصحراء السورية، وربما يكون قد تم ذلك في النصف الأول من الألف الثالث في شكل هجرات مكثفة. وهم ثاني جماعة سامية (بعد العموريين) ، لعبت دوراً مهماً في تاريخ سوريا وأرض كنعان، فإن الاختلاف بينهما يكاد يكون معدوماً. وقد نشأ الاختلاف نتيجة أن العموريين أقاموا في شمالي سوريا فتعرضوا لتأثيرات سومرية بابلية، بينما كان مركز الكنعانيين الجغرافي في أرض كنعان والساحل، ولذلك كان تأثرهم بالمصريين والحيثيين والعرب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية/ المسيري. مج ٤، الباب الخامس، ص ١٠١

(٢)العموريون(Amorites):وُكُتِبَ أحياناً «الأموريون» . و«العموريون» كلمة بابلية معناها «الغربيون» ، وُستخدِمَ للإشارة إلى أقدم شعب سامي معروف أقام في بلاد الشام وفلسطين في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد، وكوّن مملكة نحو عام ٢٥٠٠ ق. م ضمت بلاد الرافدين وسوريا وفلسطين. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية/ المسيري. مج ٤، الباب الخامس، ص ٩٦

(٣)الفرزيون(Perizzites): (الفرزيون) هم أحد الأقوام الكنعانية السبعة التي ورد ذكرها في العهد القديم والتي كانت في أرض كنعان قبل التسلل العبراني، ولم يستعبدهم العبرانيون إلا في زمن سليمان. ومعنى الكلمة غير معروف، ولعلها تعني «بيرزان Perazan» أي «الأرض الخالية أو الفضاء» ، وربما كانت بمعنى الكلمة الحيثية «بيرزي» أي «حديد». موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية/ المسيري. مج ٤، الباب الخامس، ص ١٠٤

(٤) الحويون(Hivites): «الحويون» هم أحد الأقوام الكنعانية السبعة التي كانت تقطن في شمالي أرض كنعان حينما تسلل إليها العبرانيون. والاسم مأخوذ من لفظ عبري معناه «قرية» أو «مخيم» ويقرن بعض العلماء اسمهم بكلمة «حواء» . وحسب رواية أخرى، فإن كلمة «حوي» حينما ترد في التوراة تكون تحريفاً لكلمة «حوري» في معظم الأحيان. وثمة نظرية ثالثة تقول إن الحويين كانت تربطهم صلة قرى بالآخيين وأن الاسمين مترادفان، وأنهم هاجروا إلى كنعان في الوقت نفسه الذي هاجر فيه الآخيون إلى اليونان. ويبدو أن علاقة الحويين بالعبرانيين كانت طيبة. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية/ المسيري. مج ٤، الباب الخامس، ص ١٠٥

(٥)اليبوسيون(Yebusites; Jebusites): «اليبوسيون» هم أحد الأقوام الكنعانية السبعة. عاشوا في المناطق المرتفعة المتاخمة للقدس، وهم الذين بنوا هذه المدينة وسموها «أورو . سالم» أي «مدينة السلام» . و «يبوس» هو أحد الأسماء القديمة للقدس. ولقد ظل اليبوسيون محتفظين بالمدينة مدة طويلة بعد أن استوطنتها القبائل العبرانية النازحة من كنعان، فلم تُفتح إلا في عهد داود. وقد عُرف اليبوسيون بشدة مقاومتهم للعبرانيين. ومع هذا، أخضعهم داود لهيئته، وجندهم سليمان في أعمال السخرة. ولكنهم استعادوا استقلالهم بعد سقوط المملكة الجنوبية، وحاولوا فيما بعد منع اليهود العائدين من بناء سور الهيكل. وكانت ديانة اليبوسيين مزيجاً من العقائد السامية والحرورية، وهو ما يدل على أن أصولهم قد تكون حرورية. وقد ذاب اليبوسيون في الأقوام الأخرى بعد القرن السادس قبل الميلاد. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية/ المسيري. مج ٤، الباب الخامس، ص ١٠٥

ما أفعل بكم وبعد ذلك يقومون قال أن موسى قال الله تعالى إن كنت سيدي عني راضياً فأنا أرغب إليك أن تذهب معنا وبعد ذلك أن الله تعالى قال لموسى سأخرج بنفسى بين يديك<sup>(١)</sup>.

علق ابن حزم على هذا القول بقوله: [في هذا الفصل كذبتان وتشبيه مُحقق أما الكذبتان فأحدهما قوله أنه سيبعث بين يدي موسى ملكاً لإخراج الأعداء وأما هو تعالى فليس ينزل معهم ثم نزل معهم وهذا كذب لا مخلص منه، تعالى الله عن هذا وحاش له من أن يقول سأفعل ثم لا يفعل وأن يقول لا أفعل ثم يفعل. والثاني قوله إني سأنزل إليكم مرة وأهلككم ثم لم يفعل، حاش لله من هذا، وأما التشبيه المُحقق فامتناعه من أن ينزل بنفسه واقتضاره على أن يبعث ملكاً لنصرتهم ثم أجاب إلى النزول معهم.....]<sup>(٢)</sup>. القول بالبداء من المعتقدات اليهودية. البداء مصدر بدأ يبدو بداء أي ظهر، ويستعمل في العرف بمعنى الظهور بعد الخفاء، فيقال: فلان كان عازماً على كذا ثم بدا له فعدل عنه.

وبمثل ذلك نقل ابن منظور الأفرقي عن اللغويين قولهم في البداء: قال الفراء: بدا لي بداء أي ظهر لي. وقال الجوهري: (وبدا له في الأمر بداء أي نشأ له فيه رأي - وذكر أيضاً-: بدا لي أي تغير لي رأي على ما كان عليه).

وفي هذا المعنى استعمل هذا اللفظ في القرآن الكريم:

(وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) [الزمر: ٤٧].

(وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) [الزمر: ٤٨].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ١٢٦. سفر الخروج، الإصحاح الثالث والثلاثون/

٦-١. نجد اختلاف في بعض العبارات عن النص الذي أورده ابن حزم مما يدل على التحريف المستمر.

(٢) نفس المصدر والصفحة

(وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)  
[الجاثية: ٣٣].

(قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ) [آل  
عمران: ١١٨].

وأيضاً: (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا) [الأعراف: ٢٢]. ففي كل الآيات  
استعمل هذا اللفظ بمعنى الظهور بعد الخفاء.

إن البداء بمعنييه: [الظهور بعد الخفاء، أو بدأ له في الأمر رأي آخر] كلاهما  
محال على الله تعالى لأنه يلتزم سبق الجهل وحدث العلم قال تعالى: [وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ  
أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً]<sup>(١)</sup> وهذا من معتقدات اليهود الذين حرقوا التوراة وفق ما  
شاءت أهواءهم بنصوص صريحة تتضمن نسبة البداء إلى الله سبحانه وتعالى كما  
ورد آنفاً.

#### ٤ - من افتراءات اليهود على الله تعالى:

نورد هنا نموذجاً من افتراءات اليهود على الله تعالى في زعمهم بأن  
الله صارع يعقوب عليه السلام:

ذكر ابن حزم في كتابه الفصل معلقاً على ذلك بقوله: [في هذا الفصل شناعة  
على كل من سلف تَقَشَّرَ منها جلود أهل العقول وبالله العظيم لولا أَنَّ الله عز وجل  
قصَّ علينا كفرهم بقولهم: [يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ] بقولهم: [إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَخُنْ أَعْنِيَاءُ] لما  
نطقت ألسنتنا بحكاية هذه العظائم لكننا نحكيه منكبين كما نتلوه فيما نصه عز وجل  
لنا تحذيراً من إفكهم]<sup>(٢)</sup>. وذكر بعد ذلك التعليق قولهم على الله تعالى: [ذكر في هذا  
المكان أَنَّ يعقوب صارع الله عز وجل، تعالى الله عن ذلك وعن كل شبه لخلقه،

(١) سور الطلاق: الآية ١٢

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ١١٠

فكيف عن لعب الصراع الذي لا يفعله إلا أهل البطالة، وأما أهل العقول فلا يفعلونه لغير ضرورة، ثم لم يكتفوا بهذه الشهرة حتى قالوا أن الله عز وجل عجز عن أن يصصره بنص كلام توراتهم وحقق ذلك قولهم عن الله تعالى أنه قال: (كنت قوياً على الله تعالى فكيف على الناس) ولقد أخبرني بعض أهل البصر بالعبرانية أنه لذلك سماه إسرائيل إيل بلغتهم هو اسم الله تعالى بلا شك ولا خلاف فمعناه أسر الله تذكيراً بذلك الضبط الذي كان بعد المصارعة إذ قال له: (دعني فقال له يعقوب لا أدعك حتى تبارك علي) ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه المتعرضين منهم للجدال في كل محفل فثبتوا على أن نص التوراة أن يعقوب صارع الوهيم، وقال أن لفظ الوهيم يعبر بها عن الملك، فإنما صارع ملكاً من الملائكة فقلت لهم سياق الكلام يُبطل ما تقولون ضرورة (أن فيه كنت قوياً على الله فكيف على الناس) وفيه أن يعقوب قال (رأيت الله مواجهة وسلمت نفسي) ولا يمكن البتة أن يعجب من سلامة نفسه إذ رأى الملك ولا يبلغ من مس الملك لما نص يعقوب أن يحرم على بني إسرائيل أكل عروق الفخذ في الأبد من أجل ذلك. وفيه أنه سمي الموضع بذلك فنيئيل لأنه قابل إيل وهو الله عز وجل بلا احتمال عندكم ثم لو كان ملكاً كما تدعون عند المناظرة لكان أيضاً من الخطأ تصارع نبي وملك لغير معنى فهذه صفة المتحدين في العنصر، لا صفة الملائكة والأنبياء، فإن قيل قد رويتم أن نبيكم صارع رُكانة بن عبد يزيد قلنا نعم لأن رُكانة كان من القوة بحيث لا يجد أحداً يقاومه في جزيرة العرب ولم يكن رسول الله ﷺ موصوفاً بالقوة الزائدة فدعاه إلى الإسلام فقال له إن صرعتني آمنت بك ورأى إن هذا من المعجزات فأمره عليه السلام بالتأهب لذلك ثم صرعه للوقت وأسلم رُكانة بعد مدة فبين الأمرين فرق كما بين العقل والحمق ولكل مقام مقال..<sup>(١)</sup>.

يبرز في هذا النص الافتراء على الله فهو لا يحل في الزمان ولا المكان، وقد برع ابن حزم في تفنيده حججهم وأبان زيفها.

أما النص الوارد في التوراة الحالية: [بقي يعقوب وحده. وصارعه إنسان من طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُق فخذ فأنخلع حُق فخذ يعقوب في

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم ، ج ١، ص ١١١

مصارعته معه. وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال لا أطلقك إن لم تباركني. فقال ما اسمك . فقال يعقوب. فقال لا يُدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك. فقال لماذا تسأل عن اسمي. وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل. قائلاً لأنني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي<sup>(١)</sup>.

يوضح هذا النص ويؤكد تحريف وتصحيف التوراة ولا يختلف في المعنى كثيراً عن التوراة التي اعتمد عليها ابن حزم في رده على اليهود.

### ثانياً: النبوءات من خلال التوراة ورد ابن حزم عليها

سوف نستعرض في هذا الجانب بعض النماذج لافتراءات اليهود وكذبهم ومساسهم بعصمة الأنبياء الذين اصطفاهم الله بالرسالات وأيدهم بالمعجزات:  
أ/ قولهم في إبراهيم عليه السلام وبنيه من بعده:

ذكر ابن حزم قولهم في إبراهيم عليه السلام في الفصل: [أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ أَنَا اللَّهُ الَّذِي أَخْرَجْتُكَ مِنْ أَتُونِ الْكَلْدَانِيِّينَ<sup>(٢)</sup> لَأُعْطِيكَ هَذَا الْبَلَدَ حُورًا فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ يَا رَبِّ بِمَاذَا أَعْرِفُ أَنِّي أَرِثُ هَذَا الْبَلَدَ]<sup>(٣)</sup> وعلق ابن حزم على ذلك بقوله: [حاشى لله أن يقول إبراهيم ﷺ لربه هذا الكلام فهذا كلام من لم يثق بخبر الله عز وجل حتى طلب على ذلك برهاناً، فإن قال قائل جاهل ففي القرآن أنه قال [رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى]<sup>(٤)</sup> وأن زكريا قال لله تعالى إذ وعده بابن يُسمى يحيى [رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً]<sup>(٥)</sup> قلنا بين المراجعات المذكورة فرق كما بين المشرق والمغرب، أما طلب إبراهيم عليه السلام رؤية إحياء الموتى فإنما طلب ذلك ليطمئن قلبه المنازع له

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثاني والثلاثون/ ٢٤ - ٣١

(٢) الكلدانيون (Chaldeans): الكلدانيون هم الآراميون الذين كانوا يقيمون في كِلْدَة التي كانت تقع في أقصى جنوب دلتا وادي دجلة والفرات. وكان المصطلح يتسع أحياناً ليشمل بابل بأسرها، ليضم كل بلاد الرافدين بين صحراء العرب ودلتا الفرات. ويستخدم الاسم للإشارة إلى الشعب الذي أخذ في الهيمنة على المنطقة ابتداءً من القرن الحادي عشر قبل الميلاد إلى أن قام في القرن السابع قبل الميلاد بمساعدة الحوريين (مملكة ميتاني) بإسقاط حكم الآشوريين وتأسيس الإمبراطورية البابلية الحديثة أو الكلدانية التي انصهر فيها البابليون والآراميون والكلدانيون. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية/ المسيري. مج ٤، الباب الرابع، ص ٩٥

(٣) سفر التكوين، الإصحاح الخامس عشر/ ٧، ٨

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٦٠

(٥) سورة آل عمران : الآية ٤١

أي رؤية الكيفية في ذلك فقط بيان ذلك قوله تعالى له: [قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي] <sup>(١)</sup> فَوَضَّحَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَطْلُبْ ذَلِكَ بَرَهَانًا عَلَى شَكِّ أَزَالِهِ عَنْ نَفْسِهِ لَكِن لِيَرَى الْهَيْئَةَ فَقَطْ وَأَمَّا زَكْرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّمَا طَلَبَ آيَةً تَكُونُ لَهُ عِنْدَ النَّاسِ لَثَلًا يَكْذِبُوهُ هَذَا يَفِي كَلَامِهِ وَالَّذِي ذَكَرُوهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَامٌ شَاكٍ يَطْلُبُ بَرَهَانًا يَعْرِفُ بِهِ صِحَّةَ وَعْدِ رَبِّهِ لَهُ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَحَاشَى لِإِبْرَاهِيمَ مِنْهُ <sup>(٢)</sup>.

وذكر قولهم أيضاً في موضع آخر: [وتجلى الله لإبراهيم عند بلوطات ممراً وهو جالس عند باب الخباء عند حَمِي النهار ورفع عينيه ونظر فإذا بثلاثة نفر وقوف أمامه فنظر وركض لاستقبالهم عند باب الخباء وسجد على الأرض وقال ياسيدي إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل من ماء واغسلوا أرجلكم واستندوا تحت الشجرة وأقدم لكم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم وبعد ذلك تمضون فمن أجل ذلك مررتم على عبدكم فقالوا اصنع كما قلت فأسرع إبراهيم إلى الخباء إلى سارة وقال لها اصنعي ثلاث صيعان من دقيق سميد اعجنيه واصنعي خبز ملة وحضر إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رخصاً سمناً ودفعه للغلام واستعجل بإصلاحه وأخذ سمناً ولبناً والعجل الذي صنعوه وقدم بين أيديهم وهو واقف عليهم تحت الشجرة وقال كلوا] <sup>(٣)</sup>.

ورد ابن حزم على هذا النص بقوله: [في هذا الفصل آيات من البلاء شنيعة نعوذ بالله من قليل الضلال وكثيره فأول ذلك إخباره أَنَّ الله تعالى تجلى لإبراهيم وأنه رأى الثلاثة نفر فأسرع إليهم وسجد وخاطبهم بالعبودية، فإن كان أولئك الثلاثة هم الله، فهذا هو التثليث بعينه بلا كلفة بل هو أشد من التثليث لأنه إخبار بشخص ثلاثة والنصارى يهربون من التشخيص، وقد رأيت في بعض كتب النصارى الاحتجاج بهذه القضية في إثبات التثليث، وهذا كما ترى في غاية الفضيحة، فإن كان أولئك الثلاثة ملائكة وهكذا يقولون فعليهم في ذلك أيضاً فضائح عظيمة وكذب

(١) سورة البقرة : الآية ٢٦٠

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم. ج ١، ص ١٠٢

(٣) سفر التكوين، الإصحاح الثامن عشر/ ١ - ٨، الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم. ص ١٠٣

فاحش من وجوه أولها من المحال والكذب أن يخبر بأن الله تعالى تجلى له وإنما تجلى له ثلاثة من الملائكة، وثانيها أن يخاطب أولئك الملائكة بخطاب الواحد وهذا مما يزيد في ضلال النصارى في هذا الفصل وهذا أيضاً محال في الخطاب، وثالثها سجوده للملائكة فإن من الباطل أن يسجد رسول الله ﷺ وخليله لغير الله تعالى، ولمخلوق مثله فهذه كذبة، وإن قالوا بل الله سجد فهذه كذبة ولا بد أو يكون الله عندهم هم الثلاثة المتجلون لا بد من أحداها وعادت البلية أشد ما كانت ورابعها، خطابه لهم بأنه عبدهم فإن كان المخاطب بذلك هو الله تعالى وهو المتجلي له فقد عادت البلية وإن كان المخاطبون بذلك الملائكة فحاشى الله أن يخاطب إبراهيم عليه السلام بالعبودية غير الله تعالى ومخلوقاً مثله، مع أن المحال أن يخاطب ثلاثة بخطاب واحد، وخامسها قوله يؤخذ قليل من ماء ويغسل أرجلكم وأقدم كسرة من الخبز تشتد بها قلوبكم، فهذه الحالة لئن كان خاطب بهذا الخطاب الله تعالى فهي التي لا سوي لها ولا بقية بعدها والتي تملأ الفم، وإن كان خاطب بذلك الملائكة فهذا أكذب لأن إبراهيم عليه السلام لا يجهل أن الملائكة لا تشتد قلوبهم بأكل كسرة الخبز فهذه على كل حال كذبة باردة سمجة، فإن قالوا ظنهم ناساً قلنا هذا أكذب، لأن في أول الخبر يخبر أن الله تجلى له، وكيف يسجد إبراهيم ويتعبد لخاطر طريق حاشى له من هذا الضلال، وسادسها إخباره أنهم (أكلوا الخبز والشوى والسمن واللبن) وحاشى له أن يكون هذا خبراً عن الله تعالى لا ولا عن الملائكة أين هذا الكذب البارد الفاضح الذي يشبه عقول اليهود المصدقين به من الحق المنير الواضح عليه ضياء اليقين من قول الله عز وجل في هذه القصة نفسها [وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَأَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ] (١) الآيات هيئات نور الحق من ظلمات الكذب والحمد لله رب العالمين كثيراً (٢).

(١) سورة هود : الآيات ٦٩ - ٧٠

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ابن حزم ج ١، ص ١٠٣ - ١٠٤

وذكر ابن حزم ما هو متصلاً بهذا الفصل بقولهم: [وقالوا له أين سارة زوجتك؟ فقال: ها هي ذي في الخباء، قال سأرجع إليك مثل هذا الوقت من قابل ويكون لها ابن. وسارة تسمع في الخباء وهو وراءها، وكان إبراهيم وسارة شيخين قد طعنا في السن. وانتهى لسارة أن لا يكون لها عادة النساء فضحكت سارة في نفسها قائلة: أبعد أن نليت يصير لي ذا وسيدي شيخ، قال الله لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة هل لي أن ألد وأنا عجوز، وهل يخفى عن الله أمري في هذا الوقت؟ إذ قال عز من قائل يكون لسارة ابن فجحدت سارة وقالت لم أضحك، لأنها خافت. وقال السيد ليس كما تقولين بل قد ضحكت فقام القوم من ثم<sup>(١)</sup>، قال ابن حزم عن قولهم هذا: [عاد الخبر بين سارة وإبراهيم وبين الله عز وجل، وعاد الحديث الماضي، ثم في هذا زيادة أن الله تعالى قال أن سارة ضحكت، وقالت سارة لم أضحك، فقال الله بل قد ضحكت، فهذه مراجعة الخصوم، وتعارض الأكفاء، وحاشى لسارة الفاضلة المنبأة من الله عز وجل بالبشارة من أن تكذب الله عز وجل فيما يقول، وتكذب هي في ذلك فتجدد ما فعلت، فتجمع بين سوءتين إحداهما كبيرة من الكبائر قد نَرَهُ الله عز وجل الصالحين عنها فكيف الأنبياء، والأخرى أدهى وأمر وهي التي لا يفعلها مؤمن ولو أنه أفسق أهل الأرض لأنها كفر ونعوذ بالله من الضلال]<sup>(٢)</sup>.

وذكر ابن حزم قولهم في إسحاق عليه السلام عندما طلب من ابنه عيسو ليأت له بصيد يأكله لكي يباركه قبل أن يموت، وأن رفقة أم عيسو ويعقوب أمرت يعقوب ليقوم بذلك وينال البركة من أبيه ففعل ذلك وخدع أبيه بأنه ابنه عيسو.. إلخ. وعلق ابن حزم على ذلك بأن في هذا الفصل فضائح وأكذوبات وأشياء تشبه الخرافات فأول ذلك إطلاقهم على نبي الله يعقوب عليه السلام أنه خدع أباه وغشه وهذا مبعد عن فيه خير من أبناء الناس مع الكفار والأعداء فكيف من نبي مع أبيه نبي أيضاً هذه سوات مضاعفات أين ظلمة هذا الكذب من نور الصدق في قول الله تعالى [تُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَلَٰلِذِينَ ءَامَنُوا وَمَا تُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ]<sup>(٣)</sup>

(١) سفر التكوين، الإصحاح الثامن عشر/ ٩ - ١٥

(٢) الفصل في الملل/ ابن حزم، ج ١، ص ١٠٤

(٣) سورة البقرة : الآية ٩

وثانية وهي أخبارهم إنَّ بركة يعقوب إنما كانت مسروقة مأخوذة بغش وخديعة وتخابث وحاشى للأنبياء عليهم السلام من هذا ولعمري أنها لطريقة اليهود فما تلقى منهم إلا الخبيث المخادع إلا الشاذ وثالثة وهي أخبارهم أنَّ الله تعالى أجرى حكمه وأعطى نعمته على طريق الغش والخديعة وحاش لله من هذا ورابعة وهي التي لا يشك أحد في أنَّ إسحاق عليه السلام إذ بارك يعقوب إذ خدعه بزعم النذل الذي كتب لهم هذا الهوس إنما قصد بتلك البركة عيسو وله دعا لا ليعقوب فأى منفعة للخديعة ههنا لو كان لهم عقل وما أشبه هذه القضية إلا بحمق الغالبية من الرافضة<sup>(١)</sup> القائلين أنَّ الله تعالى بعث جبريل إلى علي فأخطأ جبريل وأتى إلى محمد وهكذا بارك إسحاق على عيسو فأخطأت البركة ومضت إلى يعقوب فعلى كلتا الطائفتين لعنة الله فهذه وجوه الخبث والغش في هذه القضية<sup>(٢)</sup>.

ذكر ابن حزم في موضع آخر من كتابه الفصل افتراءات اليهود ومسلم لعصمة الأنبياء إذ نسبوا الزنا لإبراهيم عليه السلام وبنيه من بعده بقوله: [وتالله ما رأيت أمة تقر بالنبوّة وتنسب إلى الأنبياء ما ينسبه هؤلاء الكفرة، فتارة ينسبون إلى إبراهيم عليه السلام أنه تزوج إلى أخته فولدت له إسحق عليهما السلام، ثم ينسبون إلى يعقوب أنه تزوج امرأة فدمست إليه أخرى ليست امرأته فولدت له أولادا منهم انتسل موسى وهارون وسليمان وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، ثم ينسبون إلى روبان ابن يعقوب<sup>(٣)</sup> أنه زنى بربيته زوج النبي أبيه وأم أخويه، ثم ينسبون إلى نبيه يعقوب عليه السلام أنه فسق بها كرهاً وافتضها غلبة ثم، ينسبون إلى يهوذا ما ذكرنا من زناه بامرأة ولده فحبلت وولدت من الزنا ولدا منه انتسل داود وسليمان عليهما السلام، ثم ينسبون إلى يوشع بن نون أنه تزوج رجب الزانية المشهورة الموقفة نفسها للزنا لكل من دب وهب في مدينة أريحا، ثم ينسبون إلى عمران بن فهث بن لاوي أنه تزوج

---

(١) الرافضة فرقة من شيعة الكوفة سمو بذلك لأنهم رفضوا أي تركوا زيد بن علي - عليه السلام - حين نهاهم عن الطعن في الصحابة فلما عرفوا مقالته وأنه لا يبرأ من الشيخين رفضوه ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب وأجاز الطعن في الصحابة. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير/أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت ٧٧٠هـ)، بيروت: المكتبة العلمية، [د.ت.]. ج ١، ٢٣٢

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ابن حزم. ج ١، ص ١٠٧ - ١٠٨

(٣) سفر التكوين، الإصحاح التاسع والأربعون/٣ - ٤

عمته أخت والده واسمها يوحانز ولدت لجده بمصر فولد له منها هارون وموسى عليهما السلام، هكذا ذكر نسبها في قرب آخر السفر الرابع، ثم ينسبون داود عليه السلام أنه زنى جهارا بامرأة رجل من جنده محصنة وزوجها حي، وأنها ولدت منه من ذلك الزنا ابنا ذكرا ثم مات ذلك الفرخ الطيب، ثم تزوجها وهي أم سليمان ابن داود عليهما السلام، ثم ينسبون إلى أمثون بن داود عليهما السلام أنه فسق بسراري أبيه علانية أمام الناس، ثم ينسبون إلى سليمان عليه السلام العهر، وأنه تزوج نساء لا يحل له زواجهن وأنه بنى لهن بيوت الأوثان وقرب لهن القرابين للأوثان...<sup>(١)</sup>

#### ب/ قولهم في لوط عليه السلام:

جاء في الفصل عن قولهم في لوط عليه السلام: [وأقام لوط في المغارة هو وابنتاه، فقالت الكبرى للصغرى أبونا شيخ وليس في الأرض أحد يأتينا كسبيل النساء تعالى نسقي أبانا الخمر ونضاجعه ونستبق منه نسلا، فسقتا أباهما الخمر في تلك الليلة فأنت الكبرى فضاجعت أباهما ولم يعلم بنومها ولا بقيامها، فلما كان من الغد قالت الكبرى للصغرى قد ضاجعت أبي أمس تعالى نسقيه الخمر هذه الليلة وضاجعه أنت ونستبقي من أبينا نسلا، فسقتاه تلك الليلة خمرًا وأنت الصغرى فضاجعته ولم يعلم بنومها ولا بقيامها، وحملت ابنتا لوط من أبيهما فولدت الكبرى ابنا وسمته مواب وهو أبو الموابين<sup>(٢)</sup> إلى اليوم، وولدت الصغرى ابناً سمته عمي وهو أبو العمونيين<sup>(٣)</sup> إلى اليوم...<sup>(٤)</sup>

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ابن حزم. ج ١، ص ١١٤ - ١١٥

(٢) الموابيون (Moabites): كلمة «موابي» مشتقة بالنسب إلى بلاد مواب، وكلمة «مواب» لفظ سامي قد يكون معناه «مَن أبوه» . والموابيون ساميون يرجع تاريخ استقرارهم في فلسطين إلى أواخر القرن الرابع عشر قبل الميلاد، أي أنهم أسبق من القبائل العبرانية بزمان طويل في فلسطين. وينسبهم العهد القديم إلى لوط (تكويين ٣٧/١٩) من ابنته الكبرى، أي أنهم أبناء غير شرعيين له. والمعلومات المتوافرة عن الموابيين مستمدة في أغلبها من العهد القديم ومن مسلة الملك ميشع. وتقع مملكتهم في سهل مرتفع شرقي البحر الميت، يحدها شمالاً نهر الأردن، وتمتد جنوباً إلى أدوم. وكان يتأخم مملكتهم العمونيون شمالاً والأدوميون جنوباً. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية/المسيحي. مج ٤، الباب الخامس، ص ٩٧.

(٣) العمونيون (Ammonites): «العمونيون» شعب سامي قديم تجمعهم، حسب الرؤية التوراتية، صلة قرابة بالعبرانيين. وبعد فترة غير قصيرة من الحياة شبه البدوية، أنشأ العمونيون مملكة شمالي مواب التي استمرت من عام ١٥٠٠ ق. م حتى القرن الثاني الميلادي. وقد سموا عاصمتهم «رياء عمون» (رية بني عمون في التوراة) . ونشب بينهم وبين العبرانيين صراع استمر طويلاً تبادلاً أثناء الهزائم والانتصارات، كل على الآخر، حتى سقطت عاصمتهم في يد داود. ويُعرى إلى امرأة عمونية في بلاط سليمان أمر غوايته وعبادته الرب العموني ملكوم (مولك) . موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية/المسيحي. مج ٤، الباب الخامس، ص ٩٧.

(٤) سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر/٣٠ - ٣٨، الفصل في الملل والأهواء والنحل/ابن حزم. ج ١، ص ١٠٥

علق ابن حزم على ذلك بقوله: [في هذه الفصول فضائح وسوآت تقشعر من سماعها جلود المؤمنين بالله تعالى العارفين حقوق الأنبياء عليهم السلام، فأولها ما ذكر عن بنتي لوط عليه السلام من قولهما ليس أحد في الأرض يأتينا كسبيل النساء تعالى نسقي أبانا خمرا ونضاجعه ونستبق منه نسلا، فهذا كلام أحق في غاية الكذب والبرد، أترى كان انقطع نسل ولد آدم حتى لم يبق في الأرض أحد يضاجعها، إنَّ هذا لعجب فكيف والموضع معروف إلى اليوم ليس بين تلك المغارة التي كان فيها لوط عليه السلام مع بنتيه وبين قرية سكنى إبراهيم عليه السلام إلا فرسخ واحد لا يزيد وهو ثلاثة أميال فقط، فهذه سوءة، والثانية إطلاق الكذب الواضح لهذه الخرافة لعنه الله هذه الطومة<sup>(١)</sup> على الله عز وجل من أنه أطلق نبيه ورسوله ﷺ على هذه الفاحشة العظيمة من وطء ابنتيه واحدة بعد الأخرى، فإن قالوا لا ملامة عليه في ذلك لأنه فعل ذلك وهو سكران وهو لا يعلم من هما قلنا فكيف عمل إذ رأهما حاملتين، وإذ رأهما قد ولدتا ولدين لغير رشدة، وإذ رأهما تربيان أولاد الزنا. هذه فضائح الأبد وتوليد الزنادقة المبالغين في الاستخفاف بالله تعالى وبرسوله عليهم السلام، والثالثة إطلاقهم على الله تعالى أنه نسب أولاد دينك الزنيمين فرخي الزنا إلى ولادة لوط عليه السلام، حتى ورثهما بلدين كل ورث بني إسرائيل وبني عيسو ابني إسحاق سواء سواء. تعالى الله عن هذا علوا كبيرا، فإن قالوا كان مباحا حينئذ قلنا فقد صح النسخ الذي تتكرونه بلا كلفة..]<sup>(٢)</sup>

ذكر ابن حزم قولهم في قوم لوط عليه السلام: [وذكر إبراهيم عليه السلام قال الله عز وجل إذ ذكر له هلاك قوم لوط في كلام كثير أنت معاذ من أن تصنع هذا الأمر لا تقتل الصالح مع الطالح فأنت معاذ يا حاكم جميع العالم ولم ينكر الله تعالى عليه هذا القول وقال بعد ذلك أن الملكين قالوا للوط أنظر من لك هنا من صهر بنيك وبناتك وكل مالك في القرية أخرجهم من هذا الموضع لأننا مهلكون هذا

---

(١) الطومة، بالضم: المنيّة، والداهية، وأنثى السّلاحِف. القاموس المحيط/ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب

الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)؛ تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم

العرقُوسِي، ط ٨، بيروت-لبنان، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م. ص، ١١٣٤

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل. ج ١، ص ١٠٥ - ١٠٦

الموضع وقال بعد ذلك إنَّ لوطاً كلم أصحابه المتزوجين بناته وقال لهم اخرجوا من هذا الموضع فإن الله مهلكهم وأنه صار عندهم كاللاعب ثم قال بعد ذلك أنَّ الملائكة أمسكوا بيد لوط وبيد زوجته وابنتيه لشفقة الله عليهم وأخرجوهم خارج القرية ثم ذكر هلاك القرية بكل ما فيها<sup>(١)</sup>.

علق ابن حزم على ذلك بقوله: [لا تخلو أصهار لوط وبنوه وبناته الناكحات من أن يكونوا صالحين أو طالحين فإن كانوا صالحين فقد هلكوا مع الطالحين وبطل عقد الله تعالى مع إبراهيم في ذلك وحاشى الله من هذا وإن كانوا طالحين فكيف تأمر الملائكة بإخراج الطالحين وهم كانوا مبعوثين لهلاكهم فلا بد من الكذب في أحد الوجهين وبالجمل فآخبارهم معفونة جداً]<sup>(٢)</sup>.

وجاء في الفصل قول ابن حزم رداً على قولهم في الملائكة مواصلة لما ورد آنفاً عن قولهم في إبراهيم عليه السلام أنَّ الله تعالى تجلى لإبراهيم وأنه رأى الثلاثة نفر: [وصف أنَّ الملكين باتا عند لوط وأكلا عنده الخبز الفطير ولو أنَّ لوطاً سجد لهما على وجه الأرض وتعبد لهما وقد مضى مثل هذا وأنه كذب وأن الملائكة لا تأكل فطيراً ولا مختمراً وأنَّ الأنبياء عليهم السلام لا يسجدون لغير الله تعالى ولا يتعبدون لسواه]<sup>(٣)</sup>.

### ج/ قولهم في نوح عليه السلام:

ذكر أبو محمد قولهم في التوراة: [أَنَّ نوحاً إذ بلغه فعل ابنه حام أبي كنعان قال ملعون أبو كنعان عبد العبيد يكون لإخوته مستعبداً...]<sup>(٤)</sup>.  
ويلاحظ ابن حزم أنَّ حفيد حام الذي تتبأ له نوح بالاستعباد، كان هو النمرود الذي ملك جميع الأرض، ونوح لم يزل على قيد الحياة!  
وعلق ابن حزم: وحاش لله أن يكذب نبي.<sup>(٥)</sup>

---

(١) سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر/ ١٢ - ١٧ الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ١٠٤ - ١٠٥

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ١٠٤ - ١٠٥

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ١٠٤

(٤) سفر التكوين، الإصحاح التاسع/ ٢٥ - ٢٧، سفر التكوين، الإصحاح العاشر/ ٦ - ١٠، الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ٩٨

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ٩٨، منهج النقد التاريخي عند ابن حزم/ حامد طاهر.

## د/ ما نسبوه إلى الأنبياء عليهم السلام الكفر والضلال والكذب:

ذكر ابن حزم بأنهم نسبوا الكفر والضلال لبعض الأنبياء كنسبتهم للنبي هارون عليه السلام أنه هو الذي عمل العجل لبني إسرائيل وبنى له مذبحاً وقرب له القران، كما نسبوا إلى سليمان عليه السلام أنه قرب القرابين للأوثان، ونسبوا المعجزات إلى السحرة<sup>(١)</sup>

جاء الرد على افتراءات اليهود وكذبهم ومساسهم بعصمة الأنبياء عليهم السلام في كتاب<sup>(٢)</sup>: رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ: بقوله تعالى: [قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ]<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: [وَأَنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ]<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: [أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ أَقْتَدِهِ]<sup>(٥)</sup>.

ففي القرآن الكريم تجد شهادة رب العزة للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بعصمتهم من الصغائر في سلوكهم كما ذكر في الآيات، فما كان الله تعالى يحث نبيه ﷺ على الاقتداء والأسوة بأنبيائه ورسله إلا وهم معصومون من الصغائر<sup>(٦)</sup>. وجاء أيضاً عن عصمة الأنبياء من الكبائر في كتاب النبوة والأنبياء: [الامة الإسلامية مجتمعة على عصمة الأنبياء والرسل عن الكبائر من الذنوب وقبائح العيوب كالزنا والسرقه والمخادعة، وصناعة الأصنام وعبادتها، والسحر ونحو ذلك، وقد برأ كتاب الله وسنة نبيه أنبياء الله ورسله مما افتراه عليهم اليهود والنصارى في المحرف من كتبهم.

إن الأنبياء والرسل أزكى الناس وأطهرهم وأفضلهم، والله إن هؤلاء لضالون فيما وصفوا به أنبياء الله الأبرار الأطهار.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ابن حزم. ج ١، ص ١٢٤، ١٤٠

(٢) كتاب رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية الشريفة/ عماد السيد محمد إسماعيل الشرييني...ص ٢٣

(٣) سورة النمل : الآية ٥٩

(٤) سورة ص : الآية ٤٧

(٥) سورة الأنعام : الآية ٩٠

(٦) كتاب رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء السنة النبوية الشريفة/ عماد السيد محمد. ص ٢٤

ولذا الأمة الإسلامية هي المدافعة عن الأنبياء والرسل، المُشيدة بمآثرهم، فهي وارثة الأنبياء، المقيمة لدينهم، بخلاف ما عليه اليهود والنصارى تجاه أنبيائهم<sup>(١)</sup>.  
أما عن العصمة من الصغائر: ذهب أكثر علماء الإسلام إلى أنَّ الأنبياء ليسوا معصومين عن الصغائر، وقال ابن تيمية<sup>(٢)</sup>: فإن القول بأن الأنبياء معصومين عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى أنه أكثر قول أهل الكلام كما ذكر أبو الحسن الآمدي<sup>(٣)</sup>: إنَّ هذا قول أكثر الأشعرية<sup>(٤)</sup> وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول<sup>(٥)</sup>

---

(١) كتاب النبوة والأنبياء في القرآن والسنة/ علي نايف الشحود... الباب الثاني، ص ١٠٤  
(٢) منهاج السنة النبوية/أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس(ت ٧٢٨هـ/١٣٢٨م)؛ ط١، بيروت: مؤسسة قرطبة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م. ج٢، ص ٣٩٣، مجموع الفتاوى - رأي شيخ الإسلام ابن تيمية بالرافضة. ج٣، ص ٤٧٥

(٣) سَيِّفُ الدِّينِ الآمِدِيِّ (٥٥١ - ٦٣١ هـ / ١١٥٦ - ١٢٣٣ م): هو علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي: أصولي، باحث. أصله من آمد (ديار بكر) ولد بها، وتعلم في بغداد والشام. وانتقل إلى القاهرة، فدرّس فيها واشتهر. وتوفي بدمشق . وله نحو عشرين مصنفاً، منها " الإحكام في أصول الأحكام. الأعلام للزركلي، ج٤، ص ٣٣٢

(٤) الأشعرية: أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري؛ المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، الملل والنحل للشهرستاني. ج١، ص ٩٤

(٥) النبوة والأنبياء في القرآن والسنة/ علي نايف الشحود، مكتب الدعوة والإرشاد بحي الروضة. الباب الثاني، ص

## المبحث الثاني: الملائكة والبحث في التوراة

**أولاً: الملائكة من خلال التوراة ورد ابن حزم عليهما:**

أ/ سجود إبراهيم ولوط عليهما السلام للملائكة:

ذكر ابن حزم في الفصل قولهم: [تجلى الله لإبراهيم عند بلوطات ممرأ وهو جالس عند باب الخباء عند حمي النهار ورفع عينيه ونظر فإذا بثلاثة نفر وقوف أمامه فنظر وركض لاستقبالهم عند باب الخباء وسجد على الأرض...] (١).

علق ابن حزم على قولهم هذا قائلاً: [فإن كان أولئك الثلاثة ملائكة وهكذا يقولون فعليهم في ذلك أيضا فضائح عظيمة وكذب فاحش من وجوه أولها من المحال والكذب أن يخبر بأن الله تعالى تجلى له وإنما تجلى له ثلاثة من الملائكة وثانيها أن يخاطب أولئك الملائكة بخطاب الواحد وهذا مما يزيد في ضلال النصارى في هذا الفصل وهذا أيضا محال في الخطاب وثالثها سجوده للملائكة فإن من الباطل أن يسجد رسول الله ﷺ وخليله لغير الله تعالى ولمخلوق مثله فهذه كذبة] (٢).

**ب/ سجود لوط عليه السلام للملائكة:**

ذكر ابن حزم في الفصل قولهم عن نبي الله لوط عليه السلام: [أن الملكين باتا عند لوط وأكلا عنده الخبز الفطير وأن لوطا سجد لهما على وجه الأرض وتعبد لهما..] (٣) وعلق على ذلك: [وأنه كذب وأن الملائكة لا تأكل فطيرا ولا مُخْتَمِراً وأن الأنبياء عليهم السلام لا يسجدون لغير الله تعالى ولا يتعبدون لسواه] (٤).

**ج/ نسبة الأكل والشراب للملائكة:**

ذكر ابن حزم قولهم في قصة إبراهيم عليه السلام أنهم أكلوا الخبز والشوى والسمن واللبن (٥)، ورد على قولهم: [وحاشى له أن يكون هذا خبرا عن الله تعالى لا

---

(١) سفر التكوين/ الإصحاح الثامن عشر/ ١ ، ٢ ، ٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم. ج ١، ص

١٠٣

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم. ج ١، ص ١٠٣

(٣) سفر التكوين/ الإصحاح التاسع عشر/ ١ ، ٢ ، ٣.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم. ج ١، ص ١٠٣

(٥) سفر التكوين/ الإصحاح الثامن عشر/ ٥ - ٨، الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم. ج ١، ص ١٠٣

ولا عن الملائكة أين هذا الكذب البارد الفاضح الذي يشبه عقول اليهود المصدقين به من الحق المنير الواضح عليه ضياء اليقين من قول الله عز وجل في هذه القصة نفسها (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ) <sup>(١)</sup>، هيهات نور الحق من ظلمات الكذب والحمد لله رب العالمين كثيرا <sup>(٢)</sup>.

ورد قولهم أيضاً في قصة لوط عليه السلام [أن الملكين باتا عند لوط وأكلا الخبز والفطير].

ومن المعروف عن صفات الملائكة أنها لا تأكل ولا تشرب ولا تتزوج، ودل على ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى: [هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِغُلْمٍ عَالِمِينَ] <sup>(٣)</sup>.

كما جاء في كتاب الإيمان بالملائكة وبيان صفاتهم: ذكر الكاتب قول الإمام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الآيات: [اتفقوا على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون] <sup>(٤)</sup>.  
د/ مصارعة نبي الله يعقوب للملائكة:

(١) سورة هود : الآيات ٦٩ - ٧٠

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم ج ١، ص ١٠٤

(٣) سورة الذاريات : الآيات ٢٤ - ٢٨

(٤) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير/ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب

بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)؛ ط ٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠

هـ/ ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٨٥، الإيمان بالملائكة وبيان صفاتهم/ علي بن نائف الشحوذ، ط ١، بهانج دار

المعمور، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ١٢

ورد في توراتهم المُحرّفة أنّ يعقوب عليه السلام صارع الوهيم وقيل أنّ لفظ الوهيم تعني عندهم الملك، وعلق ابن حزم على قولهم هذا قائلاً: [لو كان ملكاً كما تدعون لكان أيضاً من الخطأ تصارع نبي وملك لِغَيْر معنى، فهذه صفة المتّحدين في العنصر لا صفة الملائكة والأنبياء]<sup>(١)</sup>.

(٥) قولهم بأنّ الملائكة لا يفقهون العربية ولا يُحسنون من اللغات إلا العبرانية.

ذكر ابن حزم قولهم هذا في كتابه الرد على ابن النخيلة اليهودي قائلاً: [..أنهم يعتقدون بسخفهم وضعف عقولهم أنّ الملائكة الذين يحصون أعمال العباد لا يفقهون العربية ولا يحسنون من اللغات شيئاً إلا العبرانية فلا يكتب عليهم كل ما كذبوا فيه بغير العربية، فحسبكم بهذا المقدار من الجهل العظيم والحمق التام]<sup>(٢)</sup>

### ثانياً: عقيدة البعث من خلال التوراة ورد ابن حزم عليها:

ذكر ابن حزم في كتابه الفصل جزءاً يسيراً عن عقيدة البعث في المعتقدات اليهودية لبعض الفرق من خلال التوراة بقوله: [وأنّ دين اليهود ليميل إلى هذا ميلاً شديداً لأنه ليس في توراتهم ذكر المعاد أصلاً ولا الجزاء بعد الموت]<sup>(٣)</sup> وهذا يوافق قول الملحدين الدهريين<sup>(٤)</sup>: [الناس كالعُشب إذا خرجت أرواحهم نسوا ولا يعلمون مكانهم ولا يفهمون بعد ذلك]<sup>(١)</sup>.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم. ج ١، ص ١١١

(٢) كتاب الرد على ابن النخيلة اليهودي/ ابن حزم. ص ٥٧

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم. ج ١، ص ١٥٥

(٤) الدهريون: الدهرية: هي أصل كل مذاهب الإلحاد والمادية التي عرفتها البشرية، فهي مذهب كل من اعتقد في قدم الزمان والمادة والكون، وأنكر الألوهية والخلق والعناية والبعث و الحساب. ويتوازي مع إنكار البعث والحساب عقيدة (تناسخ الأرواح) الذي يعتقد أصحابها بأن أرواح البشر تنتقل من جسد كائن حي (إنسان أو حيوان) إلى جسد كائن حي آخر بعد موت الأول، فتشقى هذه الروح أو تسعد حسب ما اكتسبه الإنسان الذي كانت حاله في جسده إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وقد لخص القرآن الكريم عقيدة الدهريين في آية كريمة، في قوله تعالى: { وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ } (الجمانية ٢٤). أما الخلق والتدبير للكون فينسبونه للكواكب. ويعرّف الشهرستاني أصحاب هذا المذهب: "بأنهم أولئك الذين أنكروا خلق العالم والعناية الإلهية، ولم يسلّموا بما جاءت به الأديان الحقّة، وقالوا بقدم الدهر، وأنّ المادة لا تنفنى". ويمكن اعتبار الفلسفة الوضعية الحديثة وكذلك الفلسفة الماركسية أحدث صور الدهرية القديمة. المغنى في أبواب التوحيد والعدل/القاضي عبد الجبار الهمداني(ت ٤١٥هـ)، تحقيق: محمود محمد قاسم، القاهرة: الدار المصرية

وذكر ابن حزم أيضاً في كتابه (الرد على ابن النغيلة اليهودي) قائلاً: [ليس في حماقاتهم المُبدلة التي يسمونها التوراة ذِكرٌ أجرٍ ولا ثوابٍ لمُحسنٍ بعد الموت ولا عقابٍ لمسيءٍ في الدنيا أصلاً ولا في الكتب التي ينسبونها إلى أنبيائهم من هذا قليل ولا كثير ، فلو نظر هذا المجنون إلى ما ينسبونه إلى سليمان عليه السلام في تصويبه دعاء امرأة دعت عليه فقالت: ولا زالت أرواح الملائك يدور بها الفلك، وهذا إبطال الثواب والعقاب إلا على معنى التناسخ ومضاد لما ذكروه عن غيره من الأنبياء إنَّ هنالك ناراً ونعيماً، ومثل ما ينسبونه إليه أيضاً عليه السلام من أنه قال مرة: عن العالم لا أول له وأنه قال مرة أخرى: أنا كنت مع الله تعالى حيث خلق الأرض والسموات..](<sup>٢</sup>).

رد القرآن الكريم والسنة النبوية على هؤلاء الذين ينكرون البعث فجاء في الصحيحين حديث أبي هريرة أنَّ النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: [كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفًاءٌ أَحَدٌ](<sup>٣</sup>).

قال الله تعالى: [زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبُّونَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ](<sup>٤</sup>)، أي سيبعثهم الله وسوف يقرءوا في الصحائف التي لا تغادر صغيرة ولا كبيرة ولا تظلم مثقال ذرة من أعمالهم التي اقترفوها.

ونجد أيضاً قول الكفار المعاندون المكابرون كما جاء في كتاب الله تعالى: [وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفْنًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا

للتأليف والترجمة- القاهرة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م. ١٥٦-١٥٧ ، الملل والنحل الشهرستاني ٢٠١/١- المطبعة الأميرية- القاهرة- ١٣١٧ هـ.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم. ج ١، ص ١٥٤

(٢) كتاب الرد على ابن النغيلة اليهودي/ ابن حزم. ص ٥٠

(٣) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب: قوله: (وامرأته حمالة الحطب)، حديث ٤٩٧٤، ج ٦، ص ١٨٠

(٤) سورة التغابن : الآية ٧

حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٩﴾ أَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۖ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ  
قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ ۖ قُلِ  
عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٦٠﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ۖ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا<sup>(١)</sup> ۚ

لقد ضرب الله لنا أمثلة عملية في كتابه الكريم نزلها إلى كل من يجهل حقيقة  
البعث ويُنكر هذه الحقيقة التي لا ريب فيها، قال سبحانه: [أَو كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ  
وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ  
عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ  
عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ  
ءَايَةً لِلنَّاسِ ۖ وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا  
تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي  
كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أُولَٰمُ تُؤْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ۖ قَالَ فَخُذْ  
أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ  
يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ<sup>(٢)</sup> ۚ

ذكر الله أصحاب الكهف الذين لبثوا في كهفهم موتى ثلاث مائة سنين  
وازدادوا تسعة: [أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ﴿٢٥٩﴾  
إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا

(١) سورة الإسراء : الآيات ٤٩ - ٥٢

(٢) سورة البقرة : الآيات ٢٥٩ - ٢٦٠

رَشْدًا ﴿٢﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓءِآذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١﴾ (٢).

وهناك آيات تحكى عن المنكرين للبعث، وَصَفَهُم للحالة التي يصيرون إليها، كتمزيق أبدانهم قطعاً، وتحلل أجزائها واختلاطها بأجزاء الأرض، وصيرورتهم عظاماً مفتتة، وأخرى تصف لصورهم بصورة التراب: من تلك الآيات قوله تعالى: [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مُّزِقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ] (٣)، وسورة السجدة: [وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ] (٤)، وسورة يس: [وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ] (٥).

فهذه الآيات جميعها تُحكى عن الجاحدين استبعادهم لإعادتهم بعد تفرق أبدانهم وتحويلها عن هيئتها وتركيبها وزوال صورتها الأصلية البشرية، وتحولها إلى صورة التراب بحيث لا يستطيع الإنسان تميز أجزائها من أجزائه، وليس في هذا دليل على الإعدام النهائي المطلق، وإنما هو دليل على التغير الكامل، لأنهم صاروا تراباً والتراب شيء موجود. وهو أصلهم الذي أنشؤا منه، ثم أعيدوا إليه. وأخيراً يخرجون منه تارة أخرى، يقول الله تعالى: [مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى] (٦).

(١) سورة الكهف : الآيات ٩ - ١٢

(٢) نفخة البعث/ مهدي على قاضي ١ - ١٢

(٣) سورة سبأ : الآية ٧

(٤) سورة السجدة : الآية ١٠

(٥) سورة يس : الآية ٧٨

(٦) سورة طه : الآية ٥٥

وهناك آياتٌ أخرى هي نصٌّ صريحٌ في موضوع الجمع، منها قول الله تبارك وتعالى في سورة الحج بعد ذكره دليل الإعادة: [ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ<sup>(١)</sup>. ومعلومٌ أنَّ الذي في القبور أجزاء الموتى بعد أن تفتت واختلطت بأجزاء الأرض، فالله قادر على تمييزها ثم تأليف إعادتها إلى حالتها الأولى<sup>(٢)</sup>

---

(١) سورة الحج : الآيات ٦ - ٧

(٢) مسلك القرآن في إثبات البعث/ علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية،

١٤٠١هـ/١٩٨١م. ص ٩٩ - ١٠٠

## **الفصل الثاني: تناقض اليهود الفكري والتاريخي**

### **وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: التناقض في سند التوراة من خلال الشواهد التاريخية**

**المبحث الثاني: التناقض في متن التوراة مع العقل والمنطق والواقع**

## تمهيد:

بعد أن تناول الإمام ابن حزم في كتابه الفصل تناقضات اليهود الدينية والعقدية في [كتابهم المسمى بالتوراة] لم يكتف بذلك في نقده للتوراة بل وضَّح وبيَّن التناقض في سند التوراة من خلال الشواهد التاريخية وعدم التواتر في النقل مع كثرة الرَّدَّات مما يدل على تحريفها وتبديلها وأنها ليست التي أنزلها الله تعالى على نبيه موسى عليه السلام، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالى: [وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ] ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا<sup>ط</sup> فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ<sup>(١)</sup>. وهذا هو موضوع المبحث الأول من هذا الفصل<sup>(٢)</sup>، أما المبحث الثاني فيوضح تناقضات نصوص التوراة مع العقل والمنطق والواقع التي بينها الإمام ابن حزم بعد أن قرأ النصوص بإمعان وقارن بينها في صبرٍ ثم استخرج النتيجة التي تثبت اضطراب النص الذي يقوم بفحصه وقد اكتشف كثيراً من وجوه التناقض في متن توراة اليهود، ومن أبرز وجوه هذا التناقض: تناقض النص مع نفسه، وتناقض النص مع نص آخر في نفس النسخة من التوراة، وتناقضه مع نص آخر من نُسَخِ التوراة<sup>(٣)</sup>.

كما لاحظ الإمام ابن حزم كثيراً من الأخطاء العلمية في الحساب والتاريخ والجغرافيا ومخالفات لبعض طبائع الأشياء من الظواهر الكونية وقام برصدها واستخدامها حجةً ودليلاً لتحريف التوراة المتداولة بين أيدي اليهود وأنها ليست التي أنزلت على موسى عليه السلام.

ويتكون هذا الفصل من مبحثين الأول التناقض في سند التوراة من خلال الشواهد التاريخية وردَّ ابن حزم عليها، والمبحث الثاني تناقض التوراة مع العقل والمنطق والواقع وردَّ ابن حزم عليها.

(١) سورة البقرة : الآيات ٧٨-٧٩

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ٩٣

(٣) منهج النقد التاريخي عند ابن حزم (نموذج في نقد توراة اليهود)/ حامد طاهر. ص ٦٢٦

## المبحث الأول: التناقض في سند التوراة من خلال الشواهد التاريخية

ذَكَرَ الإمام ابن حزم حال التوراة قبل أن تُدَوَّنَ متتبّعاً التاريخ السياسي والديني لليهود حتى يُبَيَّنَ الأدوار التي مرت بها التوراة وإلى أي مدى انعكست حياة اليهود عليها في حالتها إيمانهم وارتدادهم عن الإيمان؟ ومن كان يحتفظ بها؟ وأحوال الحفظة؟ والمكان الذي كانت تُحَفَظ فيه؟<sup>(١)</sup>.

يقول في كتابه الفصل: [ونحن نصف إن شاء الله تعالى حال كون التوراة عند بني إسرائيل من أول دولتهم إثر موت موسى عليه السلام إلى انقراض دولتهم إلى رجوعهم إلى بيت المقدس إلى أن كتبها لهم عزّر الوراق بإجماع من كتبهم واتفاق من علمائهم دون خلافٍ يُوجد من أحد منهم في ذلك وما اختلفوا فيه من ذلك نبهنا عليه لِيَتَيَقَّنَ كل ذي فهم أَنَّها مُحَرَّفَةٌ مُبَدَّلَةٌ وبالله نستعين]<sup>(٢)</sup>.

نجد أن سند التوراة لم ينقل بالتواتر كما نقل القرآن الكريم وحفظ من عند الله، بل كتبها لهم عزرا الوراق<sup>(٣)</sup>

استعرض الإمام ابن حزم التاريخ السياسي والديني لليهود منذ وفاة موسى عليه السلام ودخول بني إسرائيل الأردن وفلسطين مع يوشع العازار بن هارون عليه السلام صاحب السرداق بما فيه وعنده التوراة لا عند أحد غيره بإقرارهم، فدبّر يوشع عليه السلام أمرهم في استقامة وألزمهم الدين إحدى وثلاثين سنة وبموته دبّرهم فيخاس بن العزر بن هارون وهو صاحب السرداق والكوهن الأكبر والتوراة عنده لا عند أحد غيره خمساً وعشرين سنة في استقامة والتزام بالدين وبموته كفر بنو إسرائيل وارتدوا وعبدوا الأوثان<sup>(٤)</sup>.

ذكر ابن حزم بأنهم ارتدوا سبع مرات بعد ما تولى أمرهم ملوك بعضهم مؤمن وأكثرهم كافر بقوله: [فأعلموا الآن أَنَّهُ كان مذ دخلوا الأرض المقدسة إثر موت

(١) منهج النقد التاريخي/ حامد طاهر. ص ٦١٣

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ١٤١

(٣) علوم القرآن الكريم/ نور الدين محمد عتر الحلبي؛ ط ١، دمشق: مطبعة الصباح، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣ م. ص ١٨٦

(٤) نفس المصدر، ص ١٤١ - ١٤٢

موسى عليه السلام إلى ولاية أول ملك لهم وهو شاول<sup>(١)</sup> المذكور سبع رداد<sup>(٢)</sup> فارقوا فيها الإيمان وأعلنوا بعبادة الأصنام. فأولها بقوا فيها ثمانية أعوام والثانية ثمانية عشر عاماً والثالثة عشرين عاماً والرابعة سبعة أعوام والخامسة ثلاثة أعوام وربما أكثر والسادسة ثمانية عشر عاماً والسابعة أربعين عاماً فتأملوا أي كتاب يبقى مع تمادي الكفر ورفض الإيمان هذه المدة الطوال في بلد صغير مقدار ثلاثة أيام في مثلها فقط ليس على دينهم وإتباع كتابهم أحد على ظهر الأرض، وبموت شاول تولى أمرهم داود<sup>(٣)</sup> عليه السلام أربعين سنة ثم تولى من بعده سليمان عليه السلام الذي بنى الهيكل في بيت المقدس وجعل فيه السرادق والمذابح والمنارة الآن والقربان والتوراة

(١) شاؤول (١٠٢٠-١٠٠٤ ق. م) (Saul): «شاؤول» اسم عبري معناه «الذي سُئل من الإله». وشاؤول أول ملوك العبرانيين من قبيلة بنيامين. وقد توجه صموئيل ملكاً بعد أن طالبه الشعب بذلك. كان شاؤول يسكن في خيمة ويعيش حياة شيخ قبيلة بدوي، ولم يكن قوي الإرادة، بل كان يميل في مزاجه إلى الكآبة والتوقع. وهو يمثل انتقال المجتمع العبراني من حكم القضاة إلى حكم الملوك العبرانيين، ومن حالة البداءة إلى حالة الاستقرار والتمدن والزراعة، ولذا فقد كان أقرب إلى القائد العسكري منه إلى الملك. لم تمتد حدود مملكته الصغيرة إلى أبعد من منطقة قبيلته (بنيامين) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية/المسيحي. مج ٥، الباب الثالث عشر، ص ١٧٤.

(٢) نقد الأديان عند ابن حزم/المقراني ص ٢٧١ - ٢٧٩، الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)/مكتبة وصال العرب الإلكترونية، الردة الأولى[... وعمل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، ونسوا الرب آلههم وعبدوا البعليل والسواري... فعبد بنو إسرائيل كوشان رشعائيم ثمان سنين]. سفر القضاة/٣/ الإصحاح ٣/ ١ - ٨، الردة الثانية:[وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب،... فعبد بنو إسرائيل عجلون ملك مواب ثمانية عشرة سنة]. سفر القضاة/٣/ الإصحاح ٣/ ٢١ - ١٤. الردة الثالثة: [عاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عين الرب بعد موت إهود، فباعهم الرب بيد يابيين ملك كنعان... وهو ضائق بني إسرائيل بشدة عشرين سنة]. سفر القضاة/٤/ الإصحاح ٤/ ١ - ٣. الردة الرابعة:[وعمل بني إسرائيل الشر في عيني الرب فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين...]. سفر القضاة/٦/ الإصحاح ٦/ ١ - ٦. الردة الخامسة: [وكان بموت جدعون إن بني إسرائيل رجعوا وزنوا وراء البعليل، وجعلوا لهم بعل بريث إلهاً] سفر القضاة/٨/ الإصحاح ٨/ ٣٣ - ٣٤. الردة السادسة:[... وتركوا الرب ولم يعبدوه فحامي غضب الرب على إسرائيل وباعهم ليد الفلسطينيين وليد عئون. فحطموا ورضضو بني إسرائيل في تلك السنة ثمان عشرة سنة] سفر القضاة/١٠/ الإصحاح ١٠/ ٦ - ٩. الردة السابعة:[ثم عاد بنو إسرائيل يعملون الشر في عيني الرب، فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة] سفر القضاة/١٣/ الإصحاح ١٣/ ١

(٣) سفر: الأخبار/الأول/ الإصحاح ٢٩/ ٢٦ - ٢٨

والتابوت وسكينة بني هارون فكانت ولايته أربعين سنة<sup>(١)</sup> وبموته افترق بنو إسرائيل فصار بنو يهوذا وبنو بنيامين لبني سليمان بن داود عليه السلام في بيت المقدس وصار ملك الأسباط العشرة الباقية إلى ملك آخر منهم يسكن بنابلس<sup>(٢)</sup>.  
**بنو يهوذا وبنو بنيامين<sup>(٣)</sup>:**

ظهر يقيناً أنَّ بني يهوذا وبني بنيامين كانت مدة ملكهم بعد موت سليمان عليه السلام أربعمائة سنة ملك هذه المدة الطويلة تسعة عشر رجلاً وامراً تموا بها عشرين ملكاً كانوا كفاراً معلنين بعبادة الأوثان حاشا خمسة منهم فقط كانوا مؤمنين، فكان معظم ملوكهم على الكفر وعبادة الأوثان، فكان منهم من نشر أسماء الله تعالى من التوراة ومنهم من أحرقها وقطع أثرها، ولم نجد بعد هؤلاء ظهر فيهم إيمان إلا الكفر وقتل الأنبياء عليهم السلام حتى انقطع أمرهم جملة بغارة بُخْتَنَصَّر<sup>(٤)</sup> وسُبُوا كلهم. وهدم البيت واستأصل أثره بغارات كانت على مدينة بيت المقدس وهيكلها الذي لم تكن التوراة عند أحد إلا فيه ولم يترك فيها شيء مرة، إلى أن أملاها عليهم من حفظه عزَّر الوراق الهاروني وهم مقرون أنه وجدها عندهم وفيها خلل كثير فأصلحه وهذا يكفي، وكانت كتابة عزر للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت

---

(١) سفر: الملوك/الأول/ الإصحاح الحادي عشر/٤٢

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ١٤٣

(٣) بنيامين(Benjamin): «بنيامين» اسم عبري معناه «ابن يدي اليمنى» . وهو اسم ابن ليعقوب من راحيل. وقد أطلق هذا الاسم على إحدى القبائل العبرانية التي استقرت في جنوب فلسطين، وكان أفرادها مشهورين بشدة بأسهم وقوة بنياتهم. كان منهم أول ملوك العبرانيين. وكانت مدينة القدس وبيت إيل داخل حدودهم. وجاء في سفر القضاة أن القبائل تحالفت ذات مرة ضدَّهم وكادت تفنيهم عن آخرهم، وقد انضمت قبيلة بنيامين إلى يهودا حين انفك اتحاد القبائل داخل المملكة العبرانية المتحدة. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية/ المسيري. مج ٥، الباب التاسع، ص ١٤٣.

(٤) بُخْتَنَصَّر: بخت نصر بن بيت بن جودرز الملك البابلي. دخل دمشق ومضى منها إلى بيت المقدس فخرَّبها وسبى أهلها وحملهم إلى بابل وقيل إنه آمن بعد ذلك. تاريخ دمشق/أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ/١١٧٦م)؛ تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ/١٩٩٥ م

المقدس وكتبهم تدل على أنَّ عَزَّر لم يكتبها لهم ولم يصلحها إلا بعد نحو أربعين عاماً من رجوعهم إلى البيت بعد السبعين عاماً التي كانوا فيها خالين ولم يكن فيهم نبي أصلاً ولا القبة ولا التابوت واختلف في النار كانت عندهم أم لا ومن ذلك الوقت انتشرت التوراة ونُسِختُ وظهرت ظهوراً ضعيفاً إلى أن بنى أنطاكيوس<sup>(١)</sup> وثناً للعبادة في بيت المقدس وأخذ بنو إسرائيل بعبادته وقُرِّبت الخنازير على مذبح البيت إلى أن تولى أمرهم قومٌ من بني هارون بعد مئتين من السنين وانقطعت القرابين وانتشرت نسخ التوراة التي بأيديهم اليوم، وأحدث لهم أَحْبَارُهُمْ صلوات لم تكن عندهم جعلوها بدلاً من القرابين ورتبوا لهم الكنائس في كل قرية<sup>(٢)</sup>  
الأسباط العشرة: <sup>(٣)</sup>

بعد أن انفصل الأسباط العشرة عن يهوذا بعد موت سليمان عليه السلام سكنوا نابلس على بعد ثمانية عشر ميلاً من بيت المقدس<sup>(٤)</sup>.

فأول ملوك الأسباط العشرة يربعام<sup>(٥)</sup> بن ناباط الافرايمي فعمل لهم منذ حين توليه أمرهم عجلين من ذهب وقال هذان إلهاكما اللذان خلصاكما من مصر وبنى

---

(١) أنطاكيوس : أنطيوخس الرابع أو [أبيفانيس] ملك سوريا من ١٧٥-١٦٣ ق.م. وقد أراد أن يمحى الديانة اليهودية فثار المكابيون ضده. ١ سفر مكابيين ١: ٤١-٥٣

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم ، ج ١، ص ١٤٧ - ١٤٨

(٣) سِبْط [مفرد]: ج أسباط: حَفِيد، ولد الابن والابنة "تزوَّج ابنه وأنجب، فأصبح له سِبْط". السَّبْط عند اليهود: القبيلة "وَوَقَّطْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا" {الأسباط: أولاد يعقوب عليه السلام، وعددهم اثنا عشر، وَلَدَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ • سِبْطُ النَّبِيِّ: هما حفيدها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ.. معجم اللغة العربية المعاصرة/ أحمد مختار ج ٢، ص ١٠٢٦

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ص ١٤٣

(٥) يُرْبَعَام الأول (٩٢٨-٩٠٧ ق.م) (Jeroboam I): «يُرْبَعَام» اسم عبري معناه «يكثُر أو يربو الشعب» . ويُربَعَام الأول أول ملوك المملكة الشمالية بعد انقسام المملكة المتحدة. كان يُرْبَعَام يعمل عند سليمان ناظرًا للعمال من قبيلة إفرايم المسخَّرين للعمل. وبدأت العناصر الساخطة تتجه إليه ليكون زعيماً للتمرد على هيمنة سليمان والجنوب. ولما عرف سليمان بالمؤامرة طلب قتله، فهرب إلى مصر عند الفرعون شيشنق، وبقي هناك إلى ما بعد موت سليمان. وقاد يُرْبَعَام الوفد الذي طلب من رُحْبَعَام الإصلاح. وحينما رفض الأخير، ثار الشماليون وأسسوا مملكتهم وخاضوا حرباً مع المملكة الجنوبية استمرت اثنين وعشرين عاماً. وقد اتخذ يُرْبَعَام من شكيم عاصمة لدولته. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية/ المسيري. مج ٤، الباب الرابع عشر، ص ١٨٤.

لهما هيكلين وجعل لهما سَدَنَة وعبدهما هو وجميع أهل مملكته ومنعهم المسير إلى بيت المقدس الذي كان شريعته لا شريعة لهم غير القصد إليه والقربان فيه، وبقي على ذلك جميع ملوكهم الذين تولوا من بعده ولم يُظْهِروا إلا عبادة الأوثان وقتل الأنبياء وتشريدتهم واستمروا على هذا الحال لمدة مائتين وواحد وسبعون عاماً حتى أسر سليمان الأعسر ملك الموصل آخر ملوكهم وسباهم إلى بلاده وأسكن في أرضهم قوماً من أهله وهم أسلاف السامرية اليوم<sup>(١)</sup>. يقول ابن حزم: [فقد صح يقيناً أن جميع أسباط بني إسرائيل حاشا سبط يهوذا وبنيامين ومن كان بينهم من بني هارون بعد سليمان عليه السلام مدة مائتي وواحد وسبعين عاماً لم يظهر فيهم قط إيماناً ولا يوماً واحداً فما فوقه وإنما كانوا عباد أوثان ولم يكن قط فيهم نبي إلا مُخَاف ولا كان للتوراة عندهم لا ذكر ولا رسم ولا أثر ولا كان عندهم شيء من شرائعها أصلاً مضى على ذلك جميع عامتهم وجميع ملوكهم<sup>(٢)</sup>].

وأشار إلى أن التوراة طول هذه المدة عند الكهنة الأكبر الهاروني وحده بقوله: [فاعلموا الآن أن التوراة لم تكن من أول دولتهم إلى انقضائها إلا عند الهاروني الكهنة الأكبر وحده في الهيكل فقط وأما ملوك الأسباط العشرة فلم يكن فيهم مؤمن قط ولا واحد فما فوقه بل كانوا كلهم معلنين بعبادة الأوثان مخيفين للأنبياء مانعين القصد إلى بيت المقدس لم يكن فيهم نبي قط إلا مقتولاً أو هارباً مخافاً<sup>(٣)</sup>]. وهذا إشارة منه إلى التحريف والتبديل للتوراة طوال هذه المدة التي انفرد بها الكهنة وحده بالحفظ.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم ، ص ١٤٥ - ١٤٧

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ١٤٧

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ١٤٥

## فرقة السامرية:

أصلهم من نسل أهل أمد<sup>(١)</sup> والجزيرة اللذين نقلهم الملك سليمان الأعسر ملك الموصل بعد السبي للأسباط العشرة من بني إسرائيل وأسكنهم في بلادهم كما ذكر ابن حزم في كتابه الفصل: [وسكن بلادهم قوماً من أهل بلده وهم السامرية إلى اليوم] وقال أيضاً: [فبقايا المنقولين من أمد والجزيرة إلى بلاد بني إسرائيل وهم الذين ينكرون التوراة جملة..]<sup>(٢)</sup>.

وقد اختلفت عقائدهم عن عقائد الفرق الأخرى من اليهود ولهم تورا غير التي عند سائر اليهود ولا يؤمنون بنبي بعد موسى عليه السلام ولا يقولون بفضل بيت المقدس ولا يعرفونه ويقولون بأن المدينة المقدسة نابلس. يقول ابن حزم: [فبقايا المنقولين من أمد والجزيرة إلى بلاد بني إسرائيل وهم الذين ينكرون التوراة جملة وعندهم تورا أخرى غير هذه التي عند اليهود ولا يؤمنون بنبي بعد موسى عليه السلام ولا يقولون بفضل بيت المقدس ولا يعرفونه ويقولون أن المدينة المقدسة هي نابلس]<sup>(٣)</sup>.

علق ابن حزم بأن تورا السامرية أضعف من تورا سائر الفرق اليهودية لأنهم لا يرجعون فيها إلى نبي أصلاً وثبت تاريخياً أن السامرية من نسل أهل أمد والجزيرة ولم يكونوا من بني إسرائيل مع عدم وجود سند متصل ومتواتر وأن توراتهم مقطوعة الجذور وإنما هي من وضع زعمائهم بقوله: [فأمر تورا أولئك

---

(١) أمد: أمد بكسر الميم وما أظنها إلا لفظة رومية ولها في العربية أصل حسن لأن الأمد الغاية ، وهي أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدراً وأشهرها ذكراً. وهو بلد قديم حصين ركين مبني بالحجارة السود على نهر دجلة. وفتحت أمد في سنة عشرين من الهجرة فتحها عياض بن غنم. وينسب إلى أمد خلق من أهل العلم في كل فن منهم أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى الأديب كان بالبصرة يكتب بين يدي القضاة بها وله تصانيف في الأدب مشهورة منها كتاب المؤلف والمؤتلف في أسماء الشعراء وكتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري وغير ذلك ومات في سنة ٠٧٣ وينسب إليها من المتأخرين أبو المكارم محمد بن الحسين الأمدى الشاعر وغيرهم. معجم البلدان/ ياقوت بن

عبد الله الحموي أبو عبد الله، بيروت: دار الفكر، [د.ت.]. ج ١/ ٥٧

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم ، ج ١، ص ١٤٧

(٣) نفس المصدر، والصفحة

أضعف من تورا هؤلاء لأنهم لا يرجعون فيها إلى نبي أصلاً ولا كانوا هنالك أيام دولة بني إسرائيل إنما عملها لهم رؤساءهم<sup>(١)</sup> .

وبهذا أكد ابن حزم بأنها مُحَرَّفَةٌ ومُبَدَّلَةٌ رغم أنه لم يَتَحَصَّلْ على نسخة منها لقوله: [ولم يقع إلينا تورا السامرية أنَّهُم لا يستحلون الخروج عن فلسطين والأردن أصلاً إلا أننا قد أثينا ببرهان ضروري على أنَّ التورا التي بأيدي السامرية أيضاً مُحَرَّفَةٌ مبدلة]<sup>(٢)</sup>.

نجد أنَّ الإمام ابن حزم قد اتخذ التناقضات بين فرق اليهود أكبر دليل على أنَّ التورا مُحَرَّفَةٌ ومُبَدَّلَةٌ وليست التي نزلت على نبي الله موسى عليه السلام. ويقول عن ذلك: [إن بأيدي السامرية تورا غير التورا التي بأيدي سائر اليهود يزعمون أنها المنزلة ويقطعون أنَّ التي بأيدي اليهود مُحَرَّفَةٌ مُبَدَّلَةٌ وسائر اليهود يقولون أنَّ التي بأيدي السامرية مُحَرَّفَةٌ مُبَدَّلَةٌ..]<sup>(٣)</sup>

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم ، ج ١ ، ص ١٤٧

(٢) نفس المصدر والصفحة

(٣) نفس المصدر والصفحة

## المبحث الثاني: التناقض في متن التوراة مع العقل والمنطق والواقع

وصف الإمام ابن حزم النسخة التي اعتمد عليها في نقده التوراة التي كانت متداولة بين اليهود في الأندلس بعدما اطلع عليها وصفاً دقيقاً بقوله: [وإنما هي مقدار مائة ورقة وعشرة أوراق في كل صفحة منها ثلاثة وعشرين سطراً إلى نحو ذلك بخط هو إلى الإنساح أقرب بكون في السطر بضع عشرة كلمة]<sup>(١)</sup>.

قرأ نصوص التوراة بإمعان وتفكر واستخرج منها كثيراً من وجوه التناقض التي يرفضها العقل والمنطق والواقع، ومن أبرز وجوه هذا التناقض: تناقض النص مع نفسه، تناقض النص مع نص آخر في نفس النسخة، تناقض نص مع نص آخر من نسخ التوراة.

كما رصد كثيراً من الأخطاء العلمية في الحساب، التاريخ، الجغرافيا وطبائع الأشياء في الظواهر الكونية من حولنا<sup>(٢)</sup> سوف نقف في هذا المبحث على نماذج منها:

### أولاً: تناقض نصوص التوراة:

#### تناقض النص مع نفسه:

ورد قولهم في التوراة: [لا يدين روعي في الإنسان إلى الدهر إذ هم منتشرون لزيغانه هو بشر فتكون أعمارهم مائة وعشرين سنة]<sup>(٣)</sup> وعلق ابن حزم على ذلك بقوله: [هذا كذب فاحش ومصيبة الأبد لأنه ذكر بعد هذا القول أن سام بن نوح عاش بعد ذلك ستمائة سنة وارفخشاد بن سام عاش أربعمائة وخمسا وستين سنة..<sup>(٤)</sup> ومن تناقض النص مع نفسه أيضاً ذكرت التوراة: يشاء فرعون هلاك جميع دوابه في وباء عام شمل أهل مصر جميعاً ثم ذكر في آخر النص أن الله تعالى أنذر فرعون بأنه سوف يهلك أنعامه بالبرد.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ١٤١

(٢) منهج النقد التاريخي عند ابن حزم/ حامد طاهر، ص ٦٢٦

(٣) سفر التكوين، الإصحاح السادس/ ٣

(٤) سفر التكوين، الإصحاح الحادي عشر/ ١- ١٤، الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ٩٧

وعلق ابن حزم على ذلك: [فليت شعري. أي دابة بقيت لفرعون وأهل مصر، وذكر بأن الوباء أهلكها جميعاً]<sup>(١)</sup>. وذكرت التوراة عن يعقوب عليه السلام أنه قال لرأوبين: [أنت أول المواهب مفضل في الشرف في العز ولا تفضل منهمة ماء]<sup>(٢)</sup>. قال ابن حزم عنه هذا كلام يكذب أوله آخره<sup>(٣)</sup>.

### تناقض النص مع نص آخر في نفس النسخة:

ذكر ابن حزم من تناقض قولهم في التوراة: [وقبل هذا ذكر هابيل بن آدم وأنه راعي غنم ثم قال قبل ذلك بنحو ورقتين أن لأمك المذكور أنفاً اتخذ امرأتين اسم إحداهما عادة والثانية صلة وولدت عادة يابال وهو أول من سكن الأخبية وملك الماشية وهاتان قضيتان تُكذب إحداهما الأخرى لا بد]<sup>(٤)</sup>.

وذكرت التوراة أيضاً عن رؤية الله تعالى أن رؤية الله قد وقعت لبعض بني إسرائيل: [إنَّ الله عز وجل قال لبني إسرائيل لقد رأيتموني كلكم من السماء فلا تتخذوا معي آلهة الفضة]<sup>(٥)</sup>، ولكن ينفي ذلك في السفر الخامس فيقول: [كلمكم الله من وسط اللهيبي وسمعتهم صوته ولم تروا له شخصاً] وعلق ابن حزم قائلاً: [وهنا قضيتان تُكذب كل واحدة منها الأخرى]<sup>(٦)</sup>.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ١٢١

(٢) سفر التكوين، الإصحاح التاسع والأربعون/ ٣، ٤، نجد اختلاف في النص عن النسخة التي أخذ منها ابن حزم، عن النص في التوراة الحالية.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ١١٧

(٤) نفس المصدر، ج ١، ص ٩٧، سفر التكوين، الإصحاح الرابع/ ٢، انظر الفقرة ١٩ - ٢١ من نفس الإصحاح. نجد اختلاف في النص الذي أورده عن النصوص في التوراة الحالية [يابال الذي كان أباً لساكني الخيام ورعاة الإبل]

(٥) سفر الخروج، الإصحاح العشرون/ ٢٢ - ٢٣، الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ١٢٣

(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ١٢٤

## ثانياً: تناقض النص مع نص آخر من نسخ التوراة:

ورد في التوراة قولهم: [وأسكن في شرقي جنة عدن الكروبيم<sup>(١)</sup> ولهيب سيف متقلب بحراسة شجرة الحياة وفي نسخة أخرى منها: ووكل بالجنان المشتهر إسرافيل ونصب بين يديه رمحاً نارياً ليحفظ طريق شجرة الحياة]<sup>(٢)</sup>.  
وعلق ابن حزم بقوله: [إن لم يكن أحدهما خطأ من المترجم وإلا لا أدري كيف هذا]<sup>(٣)</sup> هذا الاختلاف في النسختين يشكك في صحة التوراة ونسبتها إلى موسى عليه السلام.

## ثالثاً: الأخطاء العلمية:

وردت كثير من التناقضات والأخطاء العلمية في التوراة، وقام الإمام ابن حزم بدراستها ورصدها وجادل فيها اليهود مستدلاً بها على تحريف التوراة ومن هذه الأخطاء:  
**أخطاء في الحساب:**

ذكرت التوراة أن نوحاً لما بلغ خمسمائة سنة ولد له يافث وسام وحام، ثم ذكرت أن نوحاً إذ بلغ ستمائة سنة كان الطوفان ولسام يومئذ مائة سنة، وقالت بعد ذلك أن سام بن نوح لما كان ابن مائة سنة ولد ارفخشاذ لسنتين بعد الطوفان<sup>(٤)</sup>. علق ابن حزم على ذلك بأنه كذب فاحش وتلون سمج وجهل مظلم لأنه إذا كان نوح إذ ولد له سام ابن خمسمائة سنة وبعد مائة سنة كان الطوفان فسام حينئذ ابن مائة سنة وستين، وفي نص توراتهم أنه كان ابن مائة سنة وهذا كذب لا خفاء به حاش لله من مثله<sup>(٥)</sup>.

---

(١) الكروبيم: الكروب: هو الملاك الصغير وجمعها كاروبيم وتنتطق باليونانية شاروبيم وفي القاموس الأمريكي يذكر في تعريف هذه الكلمة American Heritage Dictionary Cherub One of the second order angels أي ملاك من الدرجة الثانية. الكروب كما في قاموس الكتاب المقدس هم نوع من الملائكة، وقد ذكر سفر حزقيال أن لكل واحد منهم وجهان أحدهما على شكل وجه إنسان والآخر على شكل وجه شبل (انظر حزقيال ١٨/٤١)

(٢) سفر التكوين، الإصحاح الثالث/ ٢٣ - ٢٤.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ٩٧

(٤) سفر التكوين، الإصحاح التاسع/ ٢٨، والإصحاح الحادي عشر/ ١٠

(٥) نفس المصدر، ج ١، ص ٩٩

وذكرت التوراة أيضاً عدد بني يعقوب المولودين في الشام الذين ولدتهم له زوجته لثية هم ست ذكور وابنة، وأولاد هؤلاء خمسة وعشرين، وبنص توراتهم ذكروا عدد أولاد لثية وبناتها ثلاثة وثلاثون.

وعلق ابن حزم على ذلك بقوله: [وهذا خطأ في الحساب، تعالى الله عن أن يخطيء في الحساب، أو أن يخطيء فيه موسى عليه السلام، فصح أنها من توليف جاهل غث، أو من عابث سخر بهم وكشف سوءاتهم]<sup>(١)</sup>.

بعدما ذكرت التوراة أولاد يعقوب من زوجته راحيل قالت بأن عدد نسل يعقوب الذين دخلوا معه مصر سوى نساء أولاده ستة وستون وإبنا يوسف اللذان ولدا له بمصر اثنان فجميع الداخلين مصر سبعون. علق ابن حزم على ذلك: [هذا خطأ فاحش لأن المجتمع من الأعداد المذكورة تسعة وستون فإذا سقطت منهم ولدي يوسف اللذان ولدا له بمصر بقي سبعة وستون وهو يقول ستة وستون فهذه كذبة ثم قال فجميع الداخلين معه إلى مصر سبعون فهذه كذبة ثانية وقد قدمنا أن الذي عمل لهم التوراة كان ضعيف البصارة بالحساب وليست هذه صفة الله عز وجل ولا صفة من معه مسكة عقل تردعه عن الكذب وتعمره على الله تعالى وعن تكلف ما لا يحسن ولا يقوم به]<sup>(٢)</sup>.

أشار ابن حزم إلى قضية حسابية أخرى مستدلاً بها على تحريف التوراة في قولهم: [أن الله تعالى قال لإبراهيم أعلم علماً أنه سيكون نسلك غريباً في بلد ليس له ويستعبدونهم ويعذبونهم أربعمئة سنة]<sup>(٣)</sup>.

علق ابن حزم على ذلك بأنها كذبة وطامة من الطامات في قولهم لإبراهيم عليه السلام بأن نسله سيكون غريباً في بلد ويستعبدونهم ويعذبونهم أربعمئة سنة ثم بعد ذلك يخرجون، وجادل اليهود في ذلك بأن المدة التي بدأ فيها تعذيب بني إسرائيل بمصر بعد موت يوسف عليه السلام إلى خروجهم منها مع موسى عليه السلام فكانت مدة دخولهم مصر مع يعقوب عليه السلام إلى أرض مصر وحتى خروجهم

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم ، ج ١، ص ١١٦

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ١١

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ٩٩

منها مع موسى عليه السلام حسب نص توراتهم مائتي عام وسبعة عشر عاماً فأين الأربعمئة عام؟ ذكر لابد أن نسقط مدة حياة يوسف منذ دخول إخوته وأباهم إلى أن مات لأنهم طول هذه المدة لم يكونوا معذبين ولا مستعبدين بل كانوا أعرافاً مقدمين، وفي نص توراتهم أن يوسف إذ مات ابن مائة سنة وعشر سنين، فصح أن مدتهم منذ دخول مصر إلى أن مات يوسف عليه السلام كانت إحدى وسبعون فقط، فالباقى مائة وست وأربعون سنة، ويسقط منها مدة بقاء من بقى من أخوة يوسف لم نجد من ذلك إلا عم لاوي الذي عاش بعد يوسف ثلاثة وعشرين عاماً فقط، فالباقى من هذا العدد مائة وثلاث وعشرون سنة هذه هي مدة عذابهم واستعبادهم فأين الأربعمئة سنة؟ وذكر ردهم إنما ينبغي أن تكون هذه الأربعمئة منذ أن كلم الله إبراهيم لا منذ تعذيب بني إسرائيل بعد موت يوسف عليه السلام. وأحصى ابن حزم هذه المدة لتلك الفترتين، يقول: [فمن حين ادعوا أن الله تعالى قال هذا الكلام لإبراهيم إلى دخول يعقوب مصر مائتاً عام وأربعة أعوام ومن دخول يعقوب مصر إلى خروج موسى عنها كما ذكرنا مائة عام وسبعة عشر عاماً فحصلنا على أربعمئة عام وأربعة وعشرين عاماً فلا منجا من الكذب إما بزيادة أو نقصان وحاش لله أن يكذب في حساب بدقيقة فكيف بأعوام؟ والله خالق الحساب ومعلمه عباده ومعاذ الله أن يكذب موسى عليه السلام أو يخطيء فيما أوحى الله تعالى إليه فوضح يقيناً لكل من له أدنى فهم يقينا كما أن أمس قبل اليوم أنها ليست من عند الله تعالى ولا من أخبار نبي ولا من تأليف عالم يتقي الكذب ولا من عمل من يحسن الحساب ولا يخطيء فيما لا يخطيء فيه صبي يحسن الجمع والطرح والقسمة والتسمية ولكنها بلا شك من عمل كافر مُسْتَخَفٍ مَاجِنٍ سخر بهم]<sup>(١)</sup>.

### مخالفة طبائع الأشياء:

إن الله تعالى جعل للأشياء خواص وطبائع لا تتغير ولا تتبدل على مدار الأيام والسنين. لكن نجد بعض التناقضات في خواص الأشياء في التوراة منها التناقضات التي أشار إليها الإمام ابن حزم واستدل بها على تحريف التوراة بقوله: [إذ لا يحيل الطبائع إلا خالقها شهادة لرسله وأنبيائه] ومن هذه التناقضات ما جاء في

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ١٠٠ - ١٠١

التوراة عن قلب الماء دم التي وردت في التوراة: [قال السيد لموسى قل لهارون مد يدك بالعصا على مياه مصر وأنهارها وأوديتها ومروجها وجناتها لتعود دماً وتصير ماء في آنية التراب والخشب دماً ففعل موسى وهارون كما أمرهما السيد إلى قوله وصار الماء في جميع أرض مصر دماً ففعل مثل ذلك سحرة مصر برقاهم] <sup>(١)</sup>، علق ابن حزم على ذلك بقوله: [هذا نص كتابهم فأخبر أن كل ماء كان بمصر في أنهارها وأوديتها ومروجها وجناتها وأواني الخشب والتراب والماء كله في جميع أرض مصر صار دماً فأى ماء بقي حتى تقلبه السحرة دماً. من وجوه التناقض أيضاً وصف المن الذي نزل على بني إسرائيل من السماء بأنه أبيض شبيه بزريعة الكزير ومذاقه كالسميد المعل ثم قال في السفر الرابع كان المن شبيها بزريعة الكزير ولونه إلى أصفر وكان طعمه كطعم الخبز المعجون بالزيت. علق ابن حزم على ذلك بقوله: [هذا تناقض في الصفة واللون والطعم وإحدى الصفتين تكذب الأخرى بلا شك] <sup>(٢)</sup>.

### أخطاء في التاريخ:

جاء في التوراة أن الله تعالى قال لإبراهيم: [أنت تسير لآبائك بسلام وتدفن بشيئة صالحة والجيل الرابع من البنين يرجعون إلى ها هنا] <sup>(٣)</sup>. رد الإمام ابن حزم على قولهم بأن الجيل الأول من بني إبراهيم عليه السلام هم إسحاق وأخوانه عليهم السلام، والجيل الثاني هم يعقوب وعيص وبنو أعمامهما، والجيل الثالث أولاد يعقوب من صلبه [يوسف وإخوته] والجيل الرابع هم أولاد هؤلاء المذكورين، والجيل الثالث آباؤهم ويعقوب جدّهم هم الداخلون مصر لا الخارجون منها ينص توراتهم وإجماعهم كلهم بلا خلاف من أحد منهم. وإنما رجع إلى الشام بنص توراتهم وإجماعهم كلهم الجيل السادس من أبناء إبراهيم عليه السلام... وما

---

(١) سفر الخروج، الإصحاح السابع/ ١٩ - ٢٢

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم، ج ١، ص ١٢٣

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ٩٩

رجع من الجيل الرابع ولا من الجيل الخامس ولا واحد إلى الشام، وحاشا لله من أن يكذب في خبره!<sup>(١)</sup>.

وفي موضع آخر ذكرت التوراة أن الله تعالى قال: [كل من قتل قابين نفاديه إلى السبعة ولا تتأكر بين جميعهم في أن لأمك ابن موتشائيل بن محوائيل بن عيراد ابن حنوك بن قابين هو الذي قتل قابين جد جد أبيه وأنه لم يقل به فنسبوا إلى الله تعالى الكذب لأنه وعده أن يفديه إلى السبعة ولم يفده وأيضا فإن ذكر السبعة هنا حمق لأن لأمك الذي قتله هو الخامس من ولد قابين وقابين هو الخامس من آباء لأمك فلا مدخل للسبعة ها هنا]<sup>(٢)</sup>.

### أخطاء في الجغرافيا:

ومن الأخطاء في المواقع الجغرافية ذكرت التوراة بأن نهر يخرج من عدن ويسقي الجنان ثم يفترق إلى أربعة: النيل وهو محيط بجميع بلاد زويلة وبها اللؤلؤ والثاني جيحان وهو محيط ببلاد الحبشة والثالث دجلة والرابع الفرات.

فرد ابن حزم على قولهم بأن هذه الأربعة تفترق من النهر الذي يخرج من جنات عدن هذا كذب فاضح ووضح بأن مخرج النيل من الجنوب ومصبه قبالة الإسكندرية في مصر في البحر الشامي، وجيحان يخرج من بلاد الروم ويصب في البحر الشامي أيضاً وأما دجلة والفرات فمخرجهما من أرمينية ومصبهما قرب البصرة في أرض العراق. وأضاف بأن هذه كذبة شنيعة في قولهم بأن النيل محيط ببلدة زويلة وجيحان محيط بالحبشة إذ لم يكن في أرض السودان الحبشة وغير الحبشة فهو غير النيل أصلاً<sup>(٣)</sup>.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم ، ج ١، ص ٩٧

(٢) نفس المصدر والصفحة

(٣) نفس المصدر، ج ١، ص ٩٥

## **الفصل الثالث: ابن حزم ودوره في حوار الأديان**

### **وفيه مبحثان:**

**المبحث الأول: ابن حزم وعلم الأديان**

**المبحث الثاني: منهم ابن حزم في حوار مع ابن النخيلة اليهودي**

تأتي أهمية دراسة الأديان كمنهج إسلامي في الدعوة إلى الله تعالى إذ يركز هذا المنهج في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام عن طريق الجدل بالتي هي أحسن كما قال تعالى: [وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ<sup>ط</sup> وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ]<sup>(١)</sup> ولا يستطيع الداعية الناجح أن يدعو غير المسلمين بالتي هي أحسن إلا إذا درس ما عندهم من ديانات ووقف على الملل والنحل التي يدين بها غير المسلمين حتى يعرف الحق من الباطل والهدى من الضلال، فإذا علم ذلك استطاع أن يدفع الباطل ويرده عن دعوته، وأن يناصر الحق والصواب على المنهج القويم الذي رسمه الله تعالى للدعاة إليه في قوله تعالى: [قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي<sup>ط</sup> وَسُبِّحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ]<sup>(٢)</sup>.

وتعتبر هذه الدراسة واجب علمي تقتضيه الضرورة الملقة على عائق الدعاة إلى الله إذ بها يستطيع الداعية أن يزيح الستار عن الرسائل التي نزلت من قبل الله تبارك وتعالى خاصة التي أسدل عليها الباطل ستاره حتى ذهب بها، وجاء الناس لأنفسهم بعقائد وتشريعات تبتعد كل البعد عن دين الله تعالى وشرعه<sup>(٣)</sup>.

ومن العلماء المسلمين الذين كان لهم فضل السبق في تدوينه علماً مستقلاً قبل أن تعرفه أوربا الحديثة بعشرة قرون: أبي الحسن الأشعري<sup>(٤)</sup> [كتابه جمل

(١) سورة العنكبوت : الآية ٤٦

(٢) سورة يوسف : الآية ١٠٨

(٣) الأديان والمذاهب/مناهج جامعة المدينة العالمية، المدينة المنورة: جامعة المدينة. ص ٩ - ١٠

(٤) أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ (٢٦٠ - ٣٢٤ هـ / ٨٧٤ - ٩٣٦ م) هو: علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة. وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم. وتوفي ببغداد. قيل: بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب، منها " إمامة الصديق " و " الرد على المجسمة " و " مقالات الإسلاميين - ط " جزآن، و " الإبانة عن أصول الديانة - ط " و " رسالة في الإيمان - خ " و " مقالات الملحدين " و " الرد على ابن الراوندي " و " خلق الأعمال " و " الأسماء والأحكام " و " استحسان الخوض في الكلام - ط " رسالة. و " اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع - ط " يعرف باللمع الصغير. الأعلام/ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي (ت: ١٣٩٦هـ/١٩٧٩م)، ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. ج ٤، ص ٢٦٣

المقالات]، المسعودي<sup>(١)</sup> [كتابه المقالات في أصول الديانات] في القرن العاشر الميلادي، ابن حزم الظاهري [الفصل في الملل والأهواء والنحل] في القرن الحادي عشر الميلادي<sup>(٢)</sup>. وهو موضوع هذه الدراسة ويتكون الفصل من مبحثين الأول: ابن حزم وعلم الأديان، والثاني: منهج ابن حزم في حوار مع ابن النغيلة اليهودي.

---

(١) المسعودي (٣٤٦ - ٤٠٠ هـ / ٩٥٧ - ١٠٠٠ م) هو: علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، من ذرية عبد

الله بن مسعود: مؤرخ، رحالة، باحث، من أهل بغداد. أقام بمصر وتوفي فيها. من تصانيفه " مروج الذهب - ط "

والإبانة عن أصول الديانة. الأعلام للزركلي، ج ٢٧٧/٤

(٢) الأديان والمذاهب/مناهج جامعة المدينة العالمية ، ص ١٦ - ١٧

## المبحث الأول : ابن حزم وعلم الأديان

ساعد المجتمع الأندلسي الذي كان خليطاً من الثقافات والمذاهب والديانات ابن حزم على دراسة الأديان وجادل كثيراً في ذلك حيث كان له فضل السبق في تدوينه، فألف عدداً من الكتب منها: الفصل في الملل والأهواء والنحل - كتاب الأصول والفروع - الرد على ابن النخيلة اليهودي - كتاب إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل.

فقد شهد كثيراً من العلماء والفلاسفة للإمام ابن حزم دوره في تأسيس علم الأديان منهم:

المقراني<sup>(١)</sup> حيث يقول: [تأتي دراسة فكر ابن حزم خطوة أولية في مشروع علاقة المسلمين بالآخر (القريب المخالف) وهي قضية مركزية تتداخل مع موروثنا الحضاري عموماً، والأندلس على وجه الخصوص، وذلك لما تميزت به الأندلس من تعايش سلمي وثقافي بين أتباع الديانات (الإبراهيمية الثلاث) دون أن يغفل ما شهدته عصر الإمام ابن حزم من بداية لـ(حروب الاسترداد) من الممالك النصرانية الشمالية، وتزايد للنفوذ السياسي اليهودي في بعض دويلات الطوائف، مما زاد في الحدة الجدلية في خطاب ابن حزم.

---

(١) عدنان المقراني: كاتب وباحث تونسي، أستاذ الدراسات الإسلامية والعلاقات الإسلامية المسيحية لدى الجامعة البابوية الغريغورية، والمعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية في روما (إيطاليا)، حيث يقيم منذ حوالي خمسة عشر عاماً. تحصل على الدكتوراه في المعهد المذكور، وعلى دكتوراه المرحلة الثالثة من جامعة الزيتونة في تونس. له إسهامات في مجال الحوار بين الأديان وفي مجال الدراسات القرآنية الحديثة. مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث (<http://www.mominoun.com/auteur/> ٢٠٩)

هذا بالإضافة إلى أثر الظاهرية الحزمية بوصفها نظاماً معرفياً مترابط  
الأركان، ونقداً موضوعياً شمل كل الأديان المعروفة في عصره  
(النصرانية واليهودية، المجوسية<sup>(١)</sup>، والصابئة<sup>(٢)</sup>، والمزدكية<sup>(٣)</sup>...) ولم تكن ميزة  
ابن حزم في نقده العقدي لهذه الأديان بل في نقده النصوص الدينية الكتابية،  
مما جعله يسبق في هذا المجال النقاد الغربيين أمثال: سبينوزا<sup>(٤)</sup>، فولتير<sup>(٥)</sup>

(١) المجوسية: هم الذين أثبتوا أصليين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضرر والصالح والفساد ويسمون أحدهما: النور والآخر الظلمة وبالفارسية: بزدان وأهرمن ولهم مذهب يدور على قاعدتين: أحدهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة، والثانية بيان سبب خلاص النور من الظلمة وجعلوا الامتزاج مبدأً والخلاص معاداً. الملل والنحل/ الشهرستاني، ج ١، الباب الثالث، ص ٢٣٢

(٢) الصابئة: في اللغة: صبأ الرجل إذا مال وزاغ فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق زيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة. وقد يقال صبأ الرجل إذا عشق وهوى وهم يقولون: الصبوة هي الانحلال عن قيد الرجال. وإنما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين كما أن مدار مذهب الحنفاء هو التعصب للبشر الجسمانيين. والصابئة تدعي أن مذهبها هو الاكتساب والحنفاء تدعي أن مذهبها هو الفطرة. الملل والنحل/ الشهرستاني، ج ٢، الباب الأول، ص ٤

(٣) المزدكية: أصحاب مزدك ومزدك هو الذي ظهر في أيام قباذ والد أنوشروان. ويقولون إن النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخط والاتفاق، النور عالم حساس والظلام جاهل أعمى. ومذهبه في الأصول والأركان أنها ثلاثة: الماء والأرض والنار ولما اختلطت حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشر فما كان من صفوها فهو مدبر الخير وما كان من كدورها فهو مدبر الشر. الملل والنحل/ الشهرستاني، ج ١، الباب الثالث، ص ٢٤٨.

(٤) (باروخ سبينوزا) بالهولندية Baruch Spinoza: هو فيلسوف هولندي من أهم فلاسفة القرن ١٧. ولد في ٢٤ نوفمبر ١٦٣٢ في أمستردام، وتوفي في ٢١ فبراير ١٦٧٧ في لاهاي. في مطلع شبابه كان موافقاً مع فلسفة رينيه ديكارت عن ثنائية الجسد والعقل باعتبارهما شيئين منفصلين، درس العبرية والتلمود في يشيفا (مدرسة يهودية) من ١٦٣٩ حتى ١٦٥٠ م. في آخر دراسته كتب تعليقا على التلمود. وفي صيف ١٦٥٦ نُذِبَ سبينوزا من أهله ومن الجالية اليهودية في أمستردام بسبب ادعائه أن الله يكمن في الطبيعة والكون، وأن النصوص الدينية هي عبارة عن استعارات ومجازات غايتها أن تعرّف بطبيعة الله. ومن عام ١٦٦٣ حتى ١٦٧٠ أقام في بوسيرج وبعد نشر كتابه رسالة في اللاهوت والسياسة سنة ١٦٧٠ ذهب ليستقر في لاهاي حيث اشتغل كمستشار سرّي لجون دو ويت. ويعتبر كتابه الأخلاق الذي ألفه سنة ١٦٧٧ من أهم الكتب المؤثرة في الفلسفة الغربية والذي عارض فيه ثنائية العقل-الجسد للفيلسوف رينيه ديكارت. توفي سبينوزا في ٢١ فبراير. شباط ١٦٧٧ وهو بعمر ٤٤ نتيجة أصابته بمرض رئوي. معجم الفلاسفة (الفلاسفة - المناطق - المتكلمون - اللاهوتيون - المتصوفون) // إعداد جورج طرابيش، ط ٣، بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٦ م. ص ٣٥٩

(٥) (فرانسوا ماري أرويه) (François-Marie Arouet) و فولتير بالفرنسية (Voltaire): اسم شهرته ٢١. (نوفمبر ٣٠ - ١٦٩٤ مايو ١٧٧٨) كاتب وفيلسوف فرنسي عاش في عصر التنوير. عُرف بنقده الساخر، وذاع صيته بسبب سخريته الفلسفية الطريفة ودفاعه عن الحريات المدنية خاصة حرية العقيدة، والمساواة وكرامة الإنسان. كان فولتير كاتباً غزير الإنتاج قام بكتابة أعمال في كل الأشكال الأدبية تقريباً؛ فقد كتب المسرحيات والشعر والروايات والمقالات والأعمال التاريخية والعلمية وأكثر من عشرين ألفاً من الخطابات، وكذلك أكثر من ألفين من الكتب والمنشورات. وكان فولتير واحداً من العديد من الشخصيات البارزة في عصر التنوير. معجم الفلاسفة (الفلاسفة - المناطق - المتكلمون - اللاهوتيون - المتصوفون) // إعداد جورج طرابيش. ص ٤٧١

نتفق مع ما ذهب إليه بأن ابن حزم كان سباقاً في نقد نصوص الكتب المقدسة وبيان فسادها من داخل النصوص نفسها وأرسى قواعد هذا المنهج وتتبعه فلاسفة عصر التنوير في أوروبا.

كتب د. كفايتي<sup>(١)</sup> عن دور ابن حزم في تأسيس علم مقارنة الأديان قائلاً: (لا أحد يجادل في أن العلماء المسلمين كان لهم الفضل في وضع بعض أسس دراسة الأديان وذلك قبل ظهور علم مقارنة الأديان عند الغربيين في العصر الحديث). ولاشك أن ابن حزم يقف على رأس هؤلاء العلماء المسلمين، ويؤكد عبد الله دراز<sup>(٢)</sup>: (أن أثر العرب والمسلمين في علم الأديان يمتاز بطابعين جديدين: أولاً: أن الحديث عن الأديان أصبح علي يد العلماء المسلمين دراسة وصفية واقعية منعزلة عن سائر العلوم والفنون شاملة لكافة الأديان المعروفة في عهدهم. ثانياً: إن العلماء في وصفهم للأديان المختلفة لم يعتمدوا على الأخيلة والظنون، لكنهم كانوا يستمدون أوصافهم من مصادرها الموثوق بها). ما ورد في هذا النص ينطبق تماماً على ابن حزم، ويذهب حاييم زعفراني إلى القول بأن التلامذة العرب والمسلمين (تجاوزوا في بعض النواحي وفي مجالات عدة معلمهم اليونانيين، إذ لا يجب أن يغيب عن بالنا مجالاً لا نجد له نظيراً في الكتابات اليونانية إلا وهو العلم الجديد الذي يُعنى بالمقارنة بين الأديان). وفي هذا المجال يحتل كتاب [الفصل في الملل والأهواء والنحل] لابن حزم أهمية خاصة لعدة اعتبارات من بينها: انفتاح ابن حزم على الآخر لمساءلته ومحاورته والتواصل معه، وهي خطوة جريئة إذا ما نظرنا إليها في ضوء مقاييس ذلك العصر، وتطلع ابن حزم إلى مقارنة الإسلام بغيره من الديانات

---

(١) الدكتور سعيد كفايتي: باحث وأكاديمي مغربي، حاصل على درجة الدكتوراه، كلية الآداب جامعة محمد الأول، وجدة. متخصص في اللغة العبرية وآدابها. أستاذ التعليم العالي محاضر بكلية الآداب، سايس، فاس. وأستاذ مشارك بجامعة الأخوين، إفران. عضو العديد من الجمعيات الأكاديمية والثقافية. من أبحاثه المنشورة: "التأليف المعجمي العبري ونشأة الفكر اللساني المقارن" (١٩٩٧)، و"التوراة في التاريخ: كيف يختلق الباحثون ماضياً" (٢٠٠٧)، و"معضلة ترجمة النص الديني: التوراة نموذجاً" (٢٠١٢)، وبلاشترك نشر "موسوعة الديانات السماوية: الكلمات المفاتيح (اليهودية)" (٢٠١١)، وغيرها من الأبحاث. مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث. (<http://www.mominoun.com/auteur/595>).

(٢) محمد عبد الله دراز (ت ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م): فقيه متأدب مصري أزهري. كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، له كتب، منها (الدين - ط) دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام (٢). الأعلام للزركلي. ج ٦/٢٤٦

(المسيحية واليهودية). ولا يستبعد أحمد شحلان<sup>(١)</sup> أن يكون باروخ سبينوزا نفسه تأثر في نقده للتوراة بابن حزم، وذلك من خلال إبراهيم بن عزرا الذي كان شأنه في ذلك شأن أغلب العلماء اليهود آنذاك - شديد التأثير بالثقافة العربية. كما إنَّ الوجهة الجديدة التي نهجها إبراهيم بن عزرا في دراسة التوراة ما هي إلا صدى لثقافته العربية، أو لما وصله من مجادلات ومناظرات دينية بين المسلمين أنفسهم أو بين المسلمين من جهة وأهل الكتاب من جهة أخرى. من المعروف في تاريخ العلوم أنَّ قرطبة والمدن الأندلسية كانت منارة للعلوم انتقلت منها إلى جنوب فرنسا وبقية أوروبا حيث أخذت الجامعات الأوروبية تدرس هذه العلوم وربما انتقلت محاولات ابن حزم إلى هناك ضمن ما نُقل من المعارف. ويعتقد أحمد قنديل أنَّ ابن عزرا اطلع دون شك على كتابي ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، وكتاب الرد على ابن النغيلة<sup>(٢)</sup>. والباحث أيضاً يشاركه هذا الاعتقاد.

بهذا نجد أنَّ الإمام ابن حزم قد وضع الأسس ومهد الطريق لعلماء الأمة الإسلامية لمحاورة ومجادلة أهل الكتاب ومقارنة الإسلام بغيره من الديانات وإقامة الحجة بأن الإسلام هو الرسالة التي جاء بها جميع الرسل وهي صالحة لكل زمان ومكان وخاتمة للرسالات السماوية، وقد استفاد من منهجه علماء الغرب في نقدهم للتوراة وشهدوا له بذلك.

(١) - من مواليد مدينة مراكش الحمراء ، سنة ١٩٤٤، أستاذ اللغة العبرية والدراسات الشرقية، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. أستاذ مشارك في كليات آداب في كل من مراكش ووجدة ومكناس ، لتدريس اللغة العبرية والمقارنات اللغوية، في الفترة الممتدة ما بين « ١٩٧٧ و ١٩٩٠ مدير ورئيس تحرير مجلة اللسان العربي التابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكسو =alecso) في الفترة ما بين (١٩٩١ و ١٩٩٥). وللدكتور أحمد شحلان عشرات المقالات والدراسات المنشورة في مجلات مغربية وعربية، له العديد من المؤلفات القيمة ، أذكر منها : المدخل إلى اللغة العبرية، ألف عام من حياة اليهود بالمغرب، الضروري في السياسة ( مختصر سياسة أفلاطون لابن رشد )، ابن رشد والفكر العبري: فعل الثقافة العربية الإسلامية في الفكر العبري الوسيط ،يهود الأندلس والمغرب، لغات الرسل وأصول الرسالات، وغيرها، شارك الدكتور أحمد شحلان في العديد من الندوات والمؤتمرات العربية والعالمية،المصدر:

جامعة محمد الأول بوجدة <http://www.oujdacity.net/national-article-٨٦٠١٧-ar>

(٢) دور ابن حزم الأندلسي في تأسيس علم مقارنة الأديان/د.سعيد كفايتي؛ موقع الملتقى الجديد لطلبة الماجستير، الجمعة فيراير ٢٠١٠. <http://escr.٢٠١٠-topic١٨oloum.org/t3>، الأديان والمذاهب المعاصرة/ ص ١٦ -

وكتب أيضاً عن دور ابن حزم في علم الأديان إبراهيم أحمد الديبو<sup>(١)</sup>: [ابن حزم الأندلسي/ رائد الدراسات النقدية للتوراة] ذكر بأن نقد ابن حزم الأندلسي للتوراة، هو نقد علمي سبق علماء الغرب والمختصين بنقد الكتاب المقدس، واعتبر بحق رائد الدراسات النقدية، وانتهى من دراسته بنتائج قامت على أساسها مدارس نقدية في الغرب أهمها أن التوراة الحالية ليست هي التوراة التي أوحاها الله تعالى لموسى عليه السلام وإنما كتبها عزرا لهم.

وأضاف الكاتب أن ابن حزم صاحب جهد عظيم في بناء منهج الدراسة النقدية الموضوعية لأسفار الكتاب المقدس مما يجعله الدارس الأكبر في هذا الحقل العلمي.

وقد درس التوراة دراسة نقدية على المستوى المنهجي والمصدري والديني والتاريخي والجغرافي والأخلاقي واللغوي والأدبي، واعتمد عليه المستشرقون وعلماء العهد القديم في الغرب في نشأة علم نقد الكتاب المقدس وتطوره<sup>(٢)</sup>.

الباحثة لاشك عندها أن ابن حزم يأتي على قمة العلماء المسلمين المؤسسين لنقد العهد القديم ويُعد كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل من أبرز الأعمال الإسلامية في تاريخ الأديان، ويُعد الأساس المنهجي لعلم نقد العهد القديم والجديد.

---

(١) الدكتور إبراهيم أحمد الديبو: ولد في ١٩٧١/١١/٢٠م بمنبج-حلب- سوريا، أستاذ مشارك في كلية الشريعة في جامعة حلب، إجازة في الشريعة من جامعة دمشق، ماجستير في الفلسفة الإسلامية من جامعة القاهرة- كلية دار العلوم، دكتوراة في الفلسفة الإسلامية من جامعة القاهرة- كلية دار العلوم، له أبحاث عديدة منها: (ابن حزم الأندلسي رائد الدراسات النقدية للتوراة- مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية/جامعة دمشق-٢٠٠٧م)، (التفاضل بين البشر في الجنس والعرق والوراثة دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والفلسفة ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية/جامعة دمشق-٢٠٠٩م)، (موقف الإمام الغزالي من علم الكلام وأدلة المتكلمين- مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية/جامعة دمشق ٢٠١٠م)، (موقف الإمام الشافعي من علم الكلام ومناهج المتكلمين - مجلة التجديد/الجامعة الإسلامية بماليزيا ٢٠١٠م، اتحاد خريجي العلوم الشرعية، اسطنبول، وقف دار الحديث (سنان باشا) فاتح- جمبرلي طاش- منطقة مُلا فناري - شارع بني جري لر - مبنى رقم ٣٠ <http://sumasonline.net/article/> ٦٢٩)

(٢) مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية، مجلد ٢٣، العدد الثاني ٢٠٠٦م، جامعة دمشق كلية الشريعة، ص

وبذلك يُعتبر ابن حزم من مؤسسي علم الأديان، وواضع أسس ومنهجية  
الجدل والحوار ومحااجة الخصم بالحسنى والأخلاق الفاضلة مسترشداً في منهجه  
الجدلي بقول الله تعالى: [وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] (١).  
لكن رغم دعواه ومنهجه الداعي إلى مقارعة الخصم بالحكمة والموعظة  
الحسنة نجد في بعض عباراته وألفاظه التهكم والسخرية من خصمه أحياناً.

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٤٦

## المبحث الثاني : منهم ابن حزم في حوارهِ مع ابن النخرييلة اليهودي

أولاً: أهمية المجادلة ومنهج ابن حزم وشروطه في المجادلة:

ذكر الإمام ابن حزم بأن الله سبحانه وتعالى قد حض على المجادلة بالحق وأمر بطلب البرهان وأوجب المحاجة بعلم ومنع منها بغير علم يقول الله تعالى: [هَآأَنَآ تَمَّ هَآؤُلَآءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ](١).

قال ابن حزم [ فإذا قد حض الله تعالى على المجادلة بالحق وأمر بطلب البرهان فقد صح أن طلب الحجة هي سبيل الله عز وجل بالنص الذي ذكرنا أن من نهى عن ذلك وصد عنه فهو صاد عن سبيل الله تعالى ظالم ملعون](٢). كما ذم الله تعالى الجدل بغير حجة والجدال في الباطل يقول تعالى: [وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَتُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخِذُوا ءَايَتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا](٣).

يرى الإمام ابن حزم أن الحجة المنطقية لإثبات الحق أمضى من السلاح، وأفضل من الجهاد في بعض الحالات، فيقول: [ولا غيظ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة، وقد تُهزم العساكر الكبار، والحجة الصحيحة لا تغلب أبداً، فهي أدعى إلى الحق، وأنصر للدين من السلاح الشاكي، والأعداد الجمة، وأفاضل الصحابة الذين لا نظير لهم، إنما أسلموا بقيام البراهين على صحة نبوة محمد ﷺ عندهم، فكانوا أفضل ممن أسلم بالغلبة بلا خلاف من أحد المسلمين، وأول ما أمر الله عز وجل نبيه محمد ﷺ، أن يدعو الناس بالحجة البالغة بلا قتال

(١) سورة آل عمران : الآية ٦٦

(٢) الإحكام في أصول الأحكام/ ابن حزم الأندلسي، ط١، القاهرة: دار الحديث، ١٤٠٤هـ. ص ٢٥ - ٢٧

(٣) سورة الكهف : الآية ٥٦

فلما قامت الحجة، وعاندوا الحق، أطلق الله تعالى السيف حينئذ وقال تعالى: [قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ<sup>ط</sup> فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ] (١).

في هذا النص يشير الإمام ابن حزم بأن الحجة أمضى من السلاح، لأنَّ السيف مرة لنا ومرة علينا، وليس كذلك البرهان بل هو لنا أبداً ودامغ لقول مخالفينا ومزهق له أبداً (٢) قال تعالى: [بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ] (٣)

أما في السنة النبوية فقد أشار الإمام ابن حزم بأن الله تعالى قد أمر بالجدل على لسان رسوله ﷺ: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَالسِّنَّتِكُمْ) (٤). قال أبو محمد هذا حديث في غاية الصحة وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله.

أشار الإمام ابن حزم بأن الجدل بدأ في صدر الإسلام ولم ينكره الرسول ﷺ وصحابته من المهاجرين والأنصار من بعده يقول: [وقد تحاجَّ المهاجرون والأنصار وسائر الصحابة رضوان الله عليهم وحاجَّ ابن عباس الخوارج بأمر علي رضي الله عنه وما أنكر قط أحد من الصحابة الجدل في طلب الحق فلا معنى لقول من جاء بعدهم وبالجمل فلا أضعف ممن يروم إبطال الجدل بالجدل ويريد هدم جميع الأحجاج بالاحتجاج ويتكلف فساد المناظرة بالمناظرة لأنه مقر على نفسه أنه يأتي بالباطل لأنَّ حجته هي بعض الحجج التي يريد إبطال جملتها وهذا طريق لا يركبه

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٤٩

(٢) الأحكام في أصول الأحكام/ ابن حزم الأندلسي، ص ٢٨

(٣) سورة الأنبياء : الآية ١٨

(٤) سنن أبي داود/ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني

(ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٩م)؛ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا بيروت: المكتبة العصرية، [د.ت]. كتاب

الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، حديث ٢٥٠٤ (صححه الألباني)

إلا جاهل ضعيف أو معاند سخي، والجدل الذي ندعو إليه هو طلب الحق ونصره وإزهاق الباطل وتبينه[١]

ومن دوافع وأسباب هذا الحوار والمناظرة لابن النخيلة اليهودي الرسالة التي كتبها ابن النخيلة التي زعم فيها بوجود تناقض في بعض آيات القرآن الكريم، فتصدى لهذه الرسالة الإمام ابن حزم برسالته (الرد على ابن النخيلة اليهودي)، ثم رسالة إلى من ولى اليهود ومكنهم من رقاب المسلمين في الأندلس وهم البربر أسماها (فضائح البربر)(٢) يقول ابن حزم: [اللهم إنا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم وبعمارة قصور يتركونها عما قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة](٣).

وقد استخدم الإمام ابن حزم المنهج النقلي والعقلي في جداله وحواره مع اليهود ودفاعه عن الإسلام وإثبات بأنه الدين الحق الذي لم يطرأ عليه تحريف أو تبديل لأن الله سبحانه وتعالى تعهد بحفظ كتابه من التحريف في قوله تعالى: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ](٤).

والمنهج العقلي فيما أثبتته ابن حزم من نقل متصل ومتواتر للقرآن الكريم عن الرسول ﷺ نقل كافة القرآن بصورة لا يرقى إليها الشك لا في سنده كضعف روايته أو عدم اتصاله أو جرح ناقله ولا في متنه بتناقض آياته وسوره فالله يقول: [وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا](٥).

---

(١) الأحكام في أصول الأحكام/ ابن حزم الأندلسي، ص ٢٩ - ٣٠

(٢) التوراة واليهود في فكر ابن حزم/ إبراهيم الحارثي، الخرطوم: جامعة الخرطوم للنشر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. ص ٤٩

(٣) التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية/ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م)؛ تحقيق: إحسان عباس، ط ١، بيروت: دار مكتبة الحياة، الأولى، ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م، ص ١٢٥/ الرد على ابن النخيلة اليهودي/ ابن حزم، ص ٤١

(٤) سورة الحجر : الآية ٩

(٥) سورة النساء : الآية ٨٢

وقد استخدم ابن حزم نفس المنهج في جداله مع اليهود وبيان تحريف التوراة التي بأيدي اليهود وإظهار ما فيها من كذب وتناقض كما ورد في الفصل السابق، وفقاً للمنهج النقلي والعقلي الذي استخدمه، فالأول يستند على قوله تعالى: [أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تُحَرَّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ] (١) ويقول أيضاً: [وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾] فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ] (٢). تؤكد هذه الآيات أن الريانيين والرهبان قد بدلوا الكتاب وقد كتبوا بأيديهم ما لم يكن أصلاً من أصوله.

أما المنهج العقلي فيستند على الشواهد التي اعتمد عليها الإمام ابن حزم من إثبات بما لحق التوراة من تحريف بالتناقض في سندها ومنتها كما ورد في الفصل السابق (٣).

بالإضافة إلى المنهج الذي اتبعه الإمام ابن حزم في نقده للتوراة فقد وضع أسس وشروط للجدل والمناظرة منها:

نجد أن الإمام ابن حزم قد قسم الجدل إلى قسمين:  
 جدل مذموم: لا يستند على دليل ولا برهان بل يقوم على التحكُّم والاستبداد بالرأي وقد ذمه الله تعالى في قوله: [وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ] (٤).

(١) سورة البقرة : الآية ٧٥

(٢) سورة البقرة : الآيات ٧٨ - ٧٩

(٣) التقريب لحد المنطق/ ابن حزم، ص ١٧١/ منهجية البحث العلمي عند ابن حزم، رسالة دكتوراة غير منشورة/

عبد اللطيف سيد أحمد، ص ٢٦٦

(٤) سورة الحج : الآية ٨

جدل ممدوح: يقول الله تعالى: [أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] (١)

وأضاف الإمام ابن حزم بأنَّ الجدل الذي يُبنى على البرهان هو أحد أدوات المعرفة بقوله: [اعلم أنه لا يصل إلى معرفة حقيقة الاستدلال إلا بالبحث، والبحث يكون عن فكر الواحد ويكون عن تذاكر من اثنين إما من معلم إلى متعلم وأما من متناظرين مختلفين متباحثين وهذا الوجه هو آخر ما نتوصل به إلى بيان الحقائق بكثرة النقصي]

ووضع الإمام ابن حزم شروط للمناظرة والمجادلة لا بد من توفرها لدى المتناظرين حتى تكون المناظرة مميزة وفاضلة توصل إلى الحقيقة بحجة وإقناع وبرهان واضح ومن هذه الشروط:

يشترط في المتناظرين أن يكونا طالبي حقيقة لا مجرد متصارعين يريد كل واحد منهما أن يكون الغالب لا المغلوب: [فإذا اتفق أن يكون المتناظران هكذا فتلك مناظرة فاضلة حميدة العاقبة يوشك أن تنجلي عن خير مضمون أو آخر موفور وهي التي أمر الله بها إذ يقول: [وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] وإذ يقول: [أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ]، وإذ يقول: [قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] (٢) ولم يذم هذه المناظرة إلا سخيئاً جاهلاً مذموم الطبع مُفسد على الناس، أما إذا كان المتناظران معاً غالطين أو كان أحدهما جاهل والثاني غالطاً أو مغالطاً فتلك مناظرة يكثر فيها الشغب ويعظم التعب ويكثر الصخب ويشتد الغضب ويوشك أن تشتد مضرتها وأما المنفعة فلا منفعة] (٣).

يفيد هذا النص بأن المتناظرين لا بد أن يكونا صادقين في طلب الحق ولا تحركهم الأهواء والغلبة لأنَّ الآراء والأقوال منها ما هو صواب وما هو خطأ ولكن

(١) سورة النحل : الآية ١٢٥

(٢) سورة البقرة : الآية ١١١

(٣) التقريب لحد المنطق/ ابن حزم، ص ١٨٦

بالبحث والتقصي في الأدلة والبراهين نصل إلى الحق. ويؤكد ابن حزم بأن المجاملة والمسامحة في طلب الحق لا تجوز مدعماً رأيه بقول الله تعالى: [فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ] <sup>(١)</sup>، ويقول ابن حزم أيضاً: [واعلم أنَّ المسامحة في طلب الحقائق لا تجوز البتة، وإنما هو حق أو باطل ولا يجوز أن يكون الشيء حقاً باطلاً ولا باطلاً حقاً، ولا باطلاً لا حقاً] <sup>(٢)</sup>.

يوضح ابن حزم بأن المجادلة والحُجَّة إذا لم يقدِّم برهان ودليل على صحتها أو خطئها يجب التوقف في الحكم عليها حتى يتضح الحق فيها فيُقضَى به. بقوله: [وإنما يجب على العاقل أن يتبين ما أثبت البرهان ويُبطل ما أبطل البرهان ويقف فيما لم يتبينه ولا أبطله برهان حتى يلوح له الحق] <sup>(٣)</sup>

---

(١) سورة يونس : الآية ٣٢

(٢) التقريب لحد المنطق/ ابن حزم، ص ١٧١

(٣) نفس المصدر، ص ١٩٣

ثانياً: التعريف بابن النغيلة اليهودي (٣٨٣هـ - ٤٤٧هـ/٩٩٣ - ١٠٥٥م):

هو صموئيل اللاوى بن يوسف بن النغيلة المشهور عند اليهود ب(شموئيل هانجيد). وعرف عند العرب باسم إسماعيل بن يونس بن النغيلة، وهو رجل سياسة وشاعر وعالم وقائد عسكري، ويُعد أهم شخصية يهودية في الأندلس في ذلك الوقت. ولد في قرطبة (٣٨٣هـ/٩٩٣م) من عائلة غنية، وأتقن العبرية والعربية واللاتينية ولغات البربر، كما درس القرآن الكريم والتوراة والتلمود على يد حنوخ ابن موسى في قرطبة، وكان يُشيع عن نفسه أنه من نسل داود.

فرّ من قرطبة بعد غزو المرابطين لها وفتح دكان توابل في ملقا، ثم ألحقه الملك حبوس بخدمته حيث عمل بجمع الضرائب. ثم كاتباً ومساعداً للوزير أبي العباس. وبعد أن أيّد باديس<sup>(١)</sup> في معركته ضد أخيه على العرش، كافأه الملك الجديد وقربه منه وعينه وزيراً له بحيث أصبح ابن النغيلة من أهم الشخصيات في المملكة. حيث أن باديس كان مستغرقاً في لذاته ومسراته، فإن ابن النغيلة كان الحاكم الفعلي فقاد جيوش غرناطة في معاركها مع أشبيلية وحقق انتصارات عسكرية عديدة فيها.

ألف ابن النغيلة عدة كتب في الشريعة اليهودية، من بينها مقدمة للتلمود، وحرّر معجماً لعبرية التوراة كما وضع كتاباً يطعن في الإسلام وكتابه الكريم، حيث أقسم أن ينظم جميع القرآن في أشعار وموشحات يغنى بها، فرد عليه أبو محمد ابن حزم في كتاب سماه: [الرد على ابن النغيلة اليهودي]. ومع هذا كان ابن النغيلة مندمجاً تماماً في الحضارة العربية الإسلامية. فقد أمراء عصره باجتماع الشعراء وكون لنفسه حاشية منهم، وكان من بينهم عدد من الشعراء المسلمين. وكان هو نفسه يقرض الشعر باللغتين العربية والعبرية وله عدة دواوين، وتتناول قصائده العبرية بفنون جديدة اقتبسها من الأدب العربي، كالشعر القصصي، الغزل، وصف المعارك ووصف الطبيعة والرتاء.

عندما مات ابن النغيلة حزن عليه اليهود حزناً شديداً، حيث جلّوا نعشه، ونكّسوا له أعناقهم، بكوه بحرارة، وخلفه ابنه يوسف الذي أصبح رئيساً للطائفة اليهودية في

---

(١) باديس: هو باديس بن حبوس بن ماكسن الصنهاجي، أبو مناد الملقب بالمظفر صاحب غرناطة وأعمالها.

من ملوك الطوائف بالأندلس. بُيع بها بعد وفاة أبيه سنة ٤٢٨هـ. الأعلام/ الزركلي، ج٢، ص ٤٠

غرناطة، وقد اتصف بغرور وغطرسة، وكان يتهم على القرآن الكريم وكذلك تجرأ حتى على التوراة وأنه كان يحتقر كل الأديان<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: رد ابن حزم على رسالة ابن النغيلة التي اعترض فيها على بعض آيات القرآن:

#### الاعتراض الأول ورد ابن حزم عليه:

ذكر الإمام ابن حزم بأن الاعتراض الأول كان في سورة النساء بقوله: [فكان أول ما اعترض به هذا الزنديق المستتر باليهودية، على القرآن بزعمه أن ذكر قول الله عز وجل: [وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ..] (النساء: ٧٨) قال هذا المائق الجاهل: فأنكر في هذه الآية تقسيم القائلين بأن ما أصابهم من حسنة فمن الله وما أصابهم من سيئة فمن عند محمد، وأخبر أن كل ذلك من عند الله، قال: ثم قال في آخر هذه الآية: [مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ] (النساء: ٧٩) قال هذا الزنديق الجاهل: فعاد مصوباً لقولهم ومضاداً لما قدم في أول الآية<sup>(٢)</sup>.

رد ابن حزم على اعتراضه بقوله: [الآية المذكورة مكتفية بظاهرها عن تكلف تأويل، مستغنية ببادي ألفاظها عن تطلب وجه لتأليفها، ولكن جهله أعمى بصيرته وطمس إدراكه. وبيان ذلك أن الكفار يقولون: إن الحسنات الواصلة إليهم هي من عند الله عز وجل وإن السيئات المصيبة لهم في دنياهم هي من عند محمد ﷺ، فأكذبهم الله تعالى في ذلك، وبيّن وجه ورود حسنات الدنيا وسيئاتها على كل من فيها بأن الحسنات السارة هي من عند الله تعالى بفضلها على الناس، وأن كل سيئة يصيب الله

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية / عبد الوهاب المسيري . ج ٢ ، ص ٥٢ ، اليهود

تحت حكم المسلمين في الأندلس [٩٢ - ٨٩٧هـ] / خالد الخالدي: (رسالة دكتوراة

غير منشورة)، ص ١٤٩-١٦٥

(٢) الرد على ابن النغيلة اليهودي/ ابن حزم، ص ٤٣

تعالى بها إنساناً في دنياه فمن قبل نفس المصاب بها بما يجني على نفسه من تقصيره فيما يلزمه من أداء حق الله تعالى الذي لا يقوم به أحد، وكل ذلك من عند الله تعالى جملة، فأحد الوجهين وهو الحسنات فضل من الله تعالى مجرد لم يستحقه أحد على الله تعالى إلا متى تفضل به عز وجل من أحسن إليه من عبادته، والوجه الثاني وهو السيئات تأديب من الله تعالى أوجبه على المصاب بها بسبب تقصيره بما يلزمه من واجبات ربه تعالى. فإنما أنكر الله تعالى على الكفار في الآية المتلوة آنفاً قولهم للنبي ﷺ : عن ما أصابهم من سيئة فهي منك يا محمد، وأخبر عز وجل إنَّما هي من عند أنفسهم، وأن كل ذلك من عند الله تعالى، فلم يفرق المجنون بين ما أوجبه الله تعالى من أنَّ كل من أصابته سيئة فمن نفسه، وبين ما ذكر الله تعالى من قول الكفار لمحمد ﷺ: إنَّ ما أصابهم من سيئة فمنك يا محمد. فأبي ظلم يكون أعظم من ظلم من جهل أنَّ يفرق بين معنى هذين اللفظين؟.

وإنما كان الكفار يتطهرون بمحمد ﷺ عندما يرد عليهم من نكبة تعرض لهم بكفرهم وخلافهم له ﷺ، كما تطهروا إخوانهم قبلهم بموسى عليه السلام إذ قال الله تعالى حاكياً عنهم قولهم: [فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ] (١).

وختم ابن حزم قوله في رده على هذا الاعتراض: [وهذا الذي قلنا هو المفهوم من نص الآية دون تزييد ولا انتقاص ولا تبديل لفظ، والحمد لله رب العالمين] (٢).

وسوف نستعرض في هذا الجانب أقوال بعض المفسرين لهاتين الآيتين من سورة النساء [الآية: ٧٨، ٧٩] لعلها تتوافق مع ما ذكره الإمام ابن حزم في رده على هذه الاعتراضات.

(١) سورة الأعراف : الآية ١٣١

(٢) الرد على ابن النغيلة اليهودي/ ابن حزم، ص ٤٤ - ٤٥

ذكر الإمام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن<sup>(١)</sup> سبب نزول هذه الآية: [وإن

تُصِبُّهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...] قول ابن عباس وغيره من المفسرين إنها نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنها لما قدم رسول الله ﷺ المدينة عليهم قالوا: ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا مذ قدم علينا هذا الرجل وأصحابه. قال ابن عباس: ومعنى (من عندك) أي بسوء تدبيرك. وقيل (من عندك) بشؤمك، كما ذكرنا، أي بشؤمك الذي لحقنا قالوه على جهة التطيُّر. قال الله تعالى: [قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ] أي الشدة والرخاء والظفر والهزيمة من عند الله، أي بقضاء الله وقدره. أما قوله تعالى: [وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَّفْسِكَ...] أي ما أصابك يا محمد من خصبٍ ورخاءٍ وصحةٍ وسلامةٍ فبفضل الله عليك وإحسانه إليك، وما أصابك من جذبٍ وشدةٍ فبذنبٍ أتيت به عُوقِبْتَ عليه. والخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته. أي ما أصابكم يا معشر الناس من خصبٍ واتساعٍ رزقٍ فمن تفضل الله عليكم، وما أصابكم من جذبٍ وضيقٍ رزقٍ فمن أنفسكم؛ أي من أجل ذنوبكم وقع ذلك بكم.

أما ما جاء في تفسير الجلالين<sup>(٢)</sup> لتلكم الآيتين: [وإن تُصِبُّهُمْ] أي اليهود [حَسَنَةً] خصب وسعة [يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ] وَإِنْ تُصِبُّهُمْ سَيِّئَةٌ [جذب وبلاء كما حصل لهم عند قدوم النبي ﷺ المدينة [يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ] يا محمد أي بشؤمك [قُلْ] لهم [كُلٌّ] من الحسنة والسيئة [مِنْ عِنْدِ اللَّهِ] من قِبَلِهِ [فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ] أي لا يقاربون أن يفهموا [حَدِيثًا] يُلْقَى إِلَيْهِمْ و[ما] استفهام تعجب من فرط جهلهم ونفي مقارنة الفعل أشد من نفيه. [مَا أَصَابَكُمْ] أيها

(١) الجامع لأحكام القرآن/أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ/١٢٧٣م)؛ تحقيق: هشام سمير البخاري، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. ص ٢٨٤

(٢) تفسير الجلالين/ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م. ص ١١٤

الإنسان [مِنْ حَسَنَةٍ] خير [فَمِنْ اللَّهِ] أُنْتُكَ فضلاً منه [وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ] بلية [فَمِنْ نَفْسِكَ] أُنْتُكَ حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب [وَأَرْسَلْنَاكَ] يا محمد [لِلنَّاسِ رَسُولًا] حال مؤكدة [وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا] على رسالتك.

ويقول الزمخشري في الكشاف<sup>(١)</sup> عن تفسير هاتين الآيتين والمعنى: [وإن تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها إلى الله، وإن تصبهم بلية من قحط وشدة أضافوها إليك وقالوا: هي من عندك، وما كانت إلا بشؤمك، كما حكى الله عن قوم موسى: [وإن تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ] وعن قوم صالح: [قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ] وروي عن اليهود - لُعِنَتْ - أنها تشاءمت برسول الله ﷺ فقالوا: منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلّت أسعارها، فرد الله عليهم: قل كل من عند الله يبسط الأرزاق ويقبضها على حسب المصالح، لا يكادون يفقهون حديثاً فيعلموا أن الله هو الباسط القابض، وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب، ثم قال ما أصابك يا إنسان خطاباً عاماً من حسنة أي من نعمة وإحسان فمن الله تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً وامتحاناً، وما أصابك من سيئة أي من بلية ومصيبة فمن عندك لأنك السبب فيها بما كسبت يدك [وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ].

بعد استعراض أقوال بعض المفسرين لتلك الآيتين من سورة النساء [٧٨، ٧٩] نجد أن قول الإمام ابن حزم قد وافق أقوال المفسرين تماماً في تفسيره لهذه الآيات في رده على ابن النخيلة وإقامة الحجة عليه.

#### الاعتراض الثاني ورد ابن حزم عليه:

كان الاعتراض الثاني لابن النخيلة اليهودي بأن ذكر قول الله تعالى: [ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا] رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّلَهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (٥٣٨هـ/١١٤٤م)،

ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .. ص ٥٣٨

\* وردت في المرجع: دماء

ضُحِّيَهَا ﴿٢٦﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَلَهَا ﴿٢٧﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا\* وَمَرَعَهَا ﴿٢٨﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَنَهَا] (النازعات: ٢٧ - ٣٢) قال: فذكر في هذه الآية أَنَّ دحو الأرض وإخراج الماء والمرعى منها كان بعد رفع سمك السماء وبعد بنائها وتسويتها وإحكام ليلها ونهارها، ثم قال في آية أخرى: [هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ\*] (البقرة: ٢٩) قال فذكر في هذه الآية ضد ما في الأولى، وذلك أَنَّ هذه التسوية للسماء كانت بعد خلق ما في الأرض<sup>(١)</sup>

رد ابن حزم على هذا الاعتراض بقوله: [والقول في هذا كالقول في التي قبلها ولا فرق وهو: إِنَّ ظاهر هاتين الآيتين يكتفي عن تطلب تأويل أو تكلف مخرجاً وهو: أنه تعالى ذكر في الآية التي تلونا أولاً أنه عز وجل بنى السماء ورفع سمكها وأحكم الدور الذي به يظهر الليل والنهار، وأنه بعد ذلك أخرج ماء الأرض ومرعاها وأرسى الجبال فيها.

وذكر تعالى في الآية الأخرى أَنَّ تسويته تعالى السماوات سبعاً وتفريقه بين تلك الطرائق السبع التي هي مدار الكواكب المتحركة\* والقمر والشمس كان بعد خلقه كل ما في الأرض. فلم يفرق هذا الجاهل المائق بين قوله تعالى: أنه سوى السماء ورفع سمكها وبين قوله تعالى: إنه سواهن سبع سماوات. فهل بعد هذا العمى عمى، وبعد هذا الجهل جهل؟ وإنما أخبر تعالى أَنَّ تسوية السماء جملة واختراعها كان قبل دحو الأرض، وأن دحوه الأرض كان قبل أن تقسم السماء على طرائق الكواكب السبع، فلاح أَنَّ الآيتين متفقتان يصدق بعضهما بعضاً<sup>(٢)</sup>.

(١) الرد على ابن النغيلة اليهودي/ ابن حزم، ص ٤٦

\* وردت في المرجع: عظيم

\* وردت في المرجع: المتحيرة

(٢) الرد على ابن النغيلة اليهودي/ ابن حزم، ص ٤٧

قال الرازي في تفسير ذلك: أَنَّ الله تعالى خلق الأرض أولاً ثم خلق السماء ثانياً ثم دحى الأرض أي بسطها ثالثاً<sup>(١)</sup>

قال الإمام الطبري في تفسيره ما ذكره ابن عباس: [والقول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أَنَّ الله تعالى خلق الأرض وقدر فيها أقواتها، ولم يدحها، ثم استوى إلى السماء، فسواهن سبع سماوات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فأخرج منها ماءها ومرعاها، وأرسي جبالها، أشبه بما دلَّ عليه ظاهر التنزيل، لأنه جل ثناؤه قال: **وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**] والمعروف من معنى بعد أنه خلاف قبل وليس في دحو الله الأرض بعد تسويته السماوات السبع وإغطاشه ليلها، وإخراجه ضحاها، ما يُوجب أن تكون الأرض خُلقت بعد السماوات لأنَّ الدحو إنما هو البسط في كلام العرب، والمد يقال منه: دحا يدحو دحواً...<sup>(٢)</sup>.

جاء في تفسير الجلالين **[بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا]** بسطها وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو<sup>(٣)</sup>.

بعد استعراض الباحثة لأقوال بعض المفسرين لقول الله تعالى **[وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا]** نجد الإمام ابن حزم قد وافق أقوالهم في تفسير هذه الآية في رده على ابن النغيلة في إزالة التعارض الذي ذكره هذا الملحد في هذه الآية والآية الأخرى من سورة البقرة **[وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ]**

---

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير/ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين (ت ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م)، ط ٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م. ص ٤٦

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن/ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)؛ تحقيق أحمد محمد شاكر، ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

ج ٢٤، ص ٤٣٧

(٣) تفسير الجلالين/ السيوطي، ص ٧٩٠

هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] بإقامة الحجة عليه ودحض افتراءاته على كتاب الله عز وجل  
وآياته المحكمات (مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ) (١١)(٢)

### الاعتراض الثالث ورد ابن حزم عليه:

وكان مما اعترض به ابن النغيلة أيضاً أن ذكر قوله عز وجل: [قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ] (فصلت: ٩) إلى منتهى قوله في الآية نفسها [وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ] (فصلت: ١٠) قال: فذكر في هذه الآية خلق الأرض في يومين وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام، فهذه ستة أيام، ثم ذكر قوله تعالى: [ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ] (فصلت: ١١) إلى منتهى قوله تعالى: [فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ] (فصلت: ١٢) ثم ذكر قوله تعالى: [وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ] (ق: ٣٨)(٣).

قال أبو محمد: والقول في هذه الآيات كالقول في التي مضى فيها الكلام لا فرق، وهي أنها تكتفي بظاهرها عن تكلف تأويل لها، وأنه لا يظن في شيء من هذا كله اختلاف إلا عديم العقل سلب التمييز مطموس عين القلب ظليم الجهل، لأنه تعالى إنما ذكر خلق الجميع من السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، فسر لنا تعالى تلك الأيام الستة، فمنها يومان خلق فيهما الأرض ومنها أربعة أيام قَدَّرَ في الأرض أقواتها، وأنه تعالى قضى السماوات سبعاً في يومين، وقد صح بما تلونا قبل تسويته تعالى السماوات سبعاً كان بعد خلقه لما في الأرض جميعاً، فاليومان اللذان خلق الله تعالى فيهما السماوات سبعاً هما اليومان الآخريان من الأربعة الأيام التي قدر فيها أقوات الأرض لأنَّ التقدير هو غير الخلق، لأنَّ الخلق هو الاختراع والإبداع وإخراج الشيء من ليس إلى آيس بمعنى من لا شيء إلى أن يكون شيئاً موجوداً.

(١) سورة: آل عمران : الآية ٧

(٢) الرد على ابن النغيلة اليهودي/ ابن حزم، ص ٤٧

(٣) نفس المصدر والصفحة.

وأما التقدير فهو الترتيب وإحكام الأشياء الموجودات بعد إيجادها، وهذه معان لا يعلمها إلا من أعز الله تعالى نفسه من ذوي الهمم الرفيعة، المترفعة عن مهانة الإساءة ودناءة المعاش، القاصدة إلى طلب المعاني الفاضلة والحقائق المؤدية إلى معرفة الله تعالى، ومعرفة رسوله ﷺ، والدخول في ظل الإسلام والملة الحنيفية المصحبة من الله تعالى السعد في الدنيا والنصرة والعزة، المتكفل لها في الآخرة بالفوز بالجنة والقبول والرضوان والريحان، والحمد لله رب العالمين الذي جعلنا من أهلها..<sup>(١)</sup>.

جاء في تفسير هذه الآيات من سورة فصلت في معالم التفسير للبغوي: [قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلْسَائِلِينَ ﴿٧﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿٨﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴿٩﴾ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظٍ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٠﴾] فصلت : الآيات ٦ - ١٢.

قوله عز وجل: [قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ..] يوم الأحد والاثنين، [وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ..]. [وَجَعَلَ فِيهَا] أي الأرض، [رَوَاسِيَ] جبلاً ثوابت، [مِنْ فَوْقِهَا] من فوق الأرض، [وَبَرَكَ فِيهَا] أي: في الأرض، بما خلق فيها من البحار والأنهار والأشجار والثمار، [وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتًا] ذكر البغوي أقوال بعض المفسرين منهم قول عكرمة والضحاك: قدر في كل بلدة ما لم يجعله في الأخرى، ليعيش بعضهم مع بعض بالتجارة من بلد إلى بلد. [فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ] يريد خلق ما في الأرض، وقدر الأقوات في يومين يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع

(١) الرد على ابن النغيلة اليهودي/ ابن حزم، ص ٤٧

الأحد والاثنتين أربعة أيام، رَدَّ الآخِر، على الأول في الذكر، كما تقول تزوجتُ أمس امرأة واليوم اثنتين، وإحداهما هي التي تزوجتها بالأمس، [سَوَاءٌ لِلْسَّائِلِينَ] قرأ أبو جعفر (سواءً) رفع على الإبتداء، أي هي سواءٌ [وقرأ يعقوب بالجر على نعت قوله: ] فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ؛ وقرأ الآخرون (سواءً) نصبٌ على المصدر، أي استوت سواءً أي: استواءً، ومعناه: سواءً للسائلين عن ذلك. قال قتادة والسُّدِّي: من سأل عنه فهكذا الأمر، سواءً لا زيادة ولا نقصان جواباً لمن سأل: في كم خلقت الأرض والأقوات؟. [ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ] أي: عمد إلى خلق السماء، [وَهِيَ دُخَانٌ] وكان ذلك الدخان بخار الماء، [فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا] أي: ائتيا ما أمركما أي أفعلاه، كما يقال: ائت ما هو الأحسن، أي أفعَل.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ائتيا، أعطيا، يعني أخرجنا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد. [قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ] قال ابن عباس: فأجابتا بالطوع، [ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ] [ولم يقل طائعتين] لأنه ذهب به إلى السماوات والأرض ومن فيهن، مجازة: أتينا بما فينا طائعين، فلما وصفهما بالقول أجراهما في الجمع مجرى من يعقل. [فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ] أي: أتمهن وفرغ من خلقهن، [وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا] قال عطاء عن ابن عباس: خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه إلا الله. وقال مقاتل: وأوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي، وذلك يوم الخميس والجمعة. [وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ] كواكب، [وَحِفْظًا] لها ونصب (حفظاً) على المصدر، أي<sup>(١)</sup>

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي/محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي

(ت ٥١٠هـ/١١١٧م)؛ تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ط٤،

بيروت: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م. ج ٧، ص ١٦٥ - ١٦٦

حفظناها بالكواكب حفظاً من الشياطين الذين يسترقون السمع، [ذَلِكَ] الذي ذكر من صنعه [تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ] في ملكه، [الْعَلِيمِ] بحفظه<sup>(١)</sup>.

جاء في تفسير درج الدرر في تفسير الآي والسور عن ابن عباس في قوله: [ قُلْ أَتَيْنَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ.. ] قال: خلق الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين، وجعل فيها رواسي وقدر أقاتها في أربعة أيام، قال شق الأنهار، وغرس الأشجار، ووضع الجبال، وجعل فيها المنافع يوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء قدر الأوقات (ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) يوم الخميس ويوم الجمعة فمن شاء سأل في كم خلقت السموات والأرض؟ فقل في ستة أيام.<sup>(٢)</sup>

جاء في تفسير الوسيط للواحي لقل الله تعالى [ قُلْ أَتَيْنَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ.. ] (الأحد والاثنين)، (وتجعلون له أندادا) تتخذون معه آلهة، ذلك الذي فعل ما ذكر (رب العالمين)، (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ) جبال ثابت من فوق الأرض، وبارك فيها الأشجار والثمار، والحبوب والأنهار.

(وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) وقسم في الأرض أرزاق العباد والبهائم. وقيل قدر الخير لأهل قطر، والتمر لأهل قطر، والسمك لأهل قطر. (فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) أي تنمة أربعة أيام، يعني الثلاثاء والأربعاء، وهما مع الأحد والاثنين أربعة، وقال السدي وقتادة (سَوَاءٌ لِّلْسَائِلِينَ) لا زيادة ولا نقصان، جواباً لمن سأل: في كم خلقت الأرض والأوقات، فيقال في أربعة أيام.

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي/محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي

(ت ١١١٧هـ/م) ج ٧، ص ١٦٥ - ١٦٦

(٢) درج الدرر في تفسير الآي والسور/ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل،

الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ/م ١٠٧٩م)، تحقيق: طلعت صالح الفرخان، محمد أديب شكور، عمان الأردن: دار

الفكر ١٤٣٠هـ/م ٢٠٠٩م. ج ٢، ٥٤٥

(ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ...) عَمَدٌ وَقَصَدَ خَلْقَهَا وَهِيَ دُخَانٌ، قَالَ السُّدِّيُّ: كَانَ ذَلِكَ الدُّخَانُ مِنْ نَفْسِ الْمَاءِ، حِينَ تَنْفَسُ خَلْقَهَا سَمَاءً وَاحِدَةً، ثُمَّ فَتَقَهَا فَجَعَلَهَا سَبْعًا فِي يَوْمَيْنِ الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ<sup>(١)</sup>.

بعض استعراض أقوال بعض المفسرين لتلك الآيات من سورة فصلت (الآية ٩-١٢)

نجد أنَّ الإمام ابن حزم في رده على هذه الاعتراض في تفسيره لهذه الآيات بأنه وافقهم على أنَّ خلق الأرض والسموات وما بينهما في ستة أيام ولكن اختلف معهم في تفسير قوله تعالى: (وقدر فيها أوقاتها في أربعة أيام) إذ جعل اليومان اللذان خلق فيهما الله تعالى السموات سبْعًا هما اليومان الآخران من الأربعة أيام التي قدر فيها الأوقات، وعلل بأن التقدير غير الخلق لأنَّ الخلق هو الاختراع والإبداع، أما التقدير فهو الترتيب وإحكام الأشياء الموجودة بعد إيجادها على عكس أقوال هؤلاء المفسرين إذ جعلوها تنمة أربعة أيام، يعني الثلاثاء والأربعاء، وهما مع الأحد والاثنين أربعة أي خلق الأرض في يومين وقدر أوقاتها في يومين والله أعلم.

#### الاعتراض الرابع ورد ابن حزم عليه:

أما الاعتراض الرابع لهذا اليهودي في قول الله تعالى: [هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ] وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ] (المرسلات: ٣٥-٣٦) ثم قال في آية أخرى: [يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا] (النحل: ١١١) قال هذا تناقض عظيم.

قال أبو محمد: [قد قال بعض العلماء المتقدمين: إنَّ المنع من النطق المذكور في الآية إنما هو في بعض مواقف يوم القيامة، وأنَّ الجدل المذكور في الآية الأخرى هو موقف آخر مما يتلو ذلك اليوم نفسه، وهذا قول صحيح يبينه قول الله تعالى قبل الآية المذكورة، إذ يقول عز وجل: [أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ] ٢٦ أَنْطَلِقُوا

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد/ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود (وآخرون)، ط ١، بيروت: دار الكتب

العلمية ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م. ج ٤، ٢٦ - ٢٧

إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٦﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَّهَبِ ﴿٣٧﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ  
كَالْقَصْرِ ﴿٣٨﴾ كَأَنَّهُ جُمِلَتْ صُفْرٌ ﴿٣٩﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ  
﴿٤١﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ (المرسلات: ٢٩ - ٣٦) فيه بعذر.

هكذا تجيء الآيات متتابعات لا فصل بينها فصح أن اليوم الذي لا ينطقون فيه بعذر إنما هو يوم إدخالهم النار، وهو أول اليوم التالي ليوم القيامة الذي هو يوم الحساب، وهو أيضاً يوم جدال كل نفس عن نفسها؛ وهذا بيان لا إشكال فيه أصلاً. وها هنا وجه آخر وهو اتباع ظاهر الآيتين دون تكلف تأويل إلا أن يأتي بالتأويل نص آخر. فنقول وبالله نستعين: عن هاتين الآيتين البيئتين لا اختلاف بينهما أصلاً، وإنَّ النطق المنفي عنهم في الآية الأولى والمعذرة التي لم يؤذن لهم فيها إنما ذلك فيما عصوا فيه خالقهم تعالى، كما قال عز وجل في آية أخرى: [الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] (يس: ٦٥) فلا عذر لكافر ولا لعاصٍ أصلاً ولا كلام لهم. وأما الجدال الذي ذكر الله تعالى حينئذ [كُلُّ نَفْسٍ] عن نفسها فإنما هو في طلب الناس مظلالمهم بعضهم من بعض، فإن الله تعالى لا يضيع شيئاً من ذلك، على ما صح عن النبي ﷺ من أن يوم القيامة يُقْتَصَّرُ للشاة الجماء من الشاة القرناء. وبيان هذا الذي قلنا أن المعذرة إنما هي إلى الله تعالى، ولا عذر يوم القيامة لمن كفر بالله تعالى أو بنبي من أنبيائه، وخالف الإسلام. وهذا هو الذي يكون يوم القيامة ولا يعذر عليه أحد. وإنما هو مصدر جادل يجادل جدالاً، وجادل هو فعل من فاعلين لا ينكر أحد هذا من أهل اللغة، فالله تعالى لا يجادل، وإنما يجادل الناس بعضهم بعضاً، فكل أحد حينئذ يجادل من ظلمه ليقْتَصَّ (١) منه وهذا ما لا يعرى منه مؤمن ولا كافر، فاستبان معنى الآيتين بظاهرهما دون تكلف تأويل، وبطل ما ظنه هذا الجاهل، والحمد لله رب العالمين [٢].

(١) الرد على ابن النغيلة اليهودي/ ابن حزم، ص ٤٩ - ٥٠

(٢) نفس المصدر والصفحة.

قال الطبري في تفسيره: القول في تأويل قوله تعالى: [هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿١٠٧﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ...] يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذبين بثواب الله وعقابه [يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ] أهل التكذيب بثواب الله وعقابه. [وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ] مما اجتروا في الدنيا من الذنوب فإن قال قائل: وكيف قيل: [هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ] وقد علمت بخبر الله عنهم أنهم يقولون: [رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا] (المؤمنون: ١٠٧) وأنهم يقولون: [رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ] (غافر: ١١) في نظائر ذلك مما أخبر الله ورسوله عنهم أنهم يقولونه؟ قيل ذلك في بعض الأحوال دون بعض. وقوله: [هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ] يُخبر عنهم أنهم لا ينطقون في بعض أحوال ذلك اليوم، لا أنهم لا ينطقون ذلك اليوم كله. فإن قال: فهل من برهان يُعلم به حقيقة ذلك؟ قيل نعم، وذلك إضافة يوم إلى قوله: [لَا يَنْطِقُونَ] والعرب لا تضيف اليوم إلى فعل ويفعل، إلا إذا أرادت الساعة من اليوم والوقت منه، وذلك كقولهم: آتيتك يوم يقدم فلان، وأتيتك يوم زارك أخوك، فمعلوم أن معنى ذلك: أتيتك ساعة زارك، أو آتيتك ساعة يقدم، وأنه لم يكن إتيانه أياه اليوم كله<sup>(١)</sup>.

يقول الشوكاني في فتح القدير: [هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ] أي: لا يتكلمون، قال الواحدي: قال المفسرون: في يوم القيامة مواقف، ففي بعضها يتكلمون، وفي بعضها يختم على أفواههم فلا يتكلمون. وقيل إنَّ هذا إشارة إلى وقت دخولهم النار وهم عند ذلك لا ينطقون، لأنَّ مواقف السؤال والحساب قد انقضت. وقال الحسن: لا ينطقون بحجة وإن كانوا ينطقون<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير الطبري جامع البيان/ ابن جرير الطبري، ج ٢٤، ص ١٤١ - ١٤٢

(٢) فتح القدير/ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٥م)، ط ١، دمشق،

بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ. ج ٥، ص ٤٣٤

أما قول البغوي: في قوله تعالى: [هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ] أي يوم القيامة لأنَّ فيها مواقف، ففي بعضها يختصمون ويتكلمون وفي بعضها يُختم على أفواههم فلا ينطقون<sup>(١)</sup>.

نجد أنَّ الإمام ابن حزم قد رد على هذا الاعتراض ووضح هذه المسألة بتفصيل حيث وافق أقوال المفسرين المذكورين وزاد عليهم في تفسير هذه الآية [هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ] وتوضيح معانيها ورد هذا الاعتراض وأقام الحجة عليه.

#### الاعتراض الخامس ورد ابن حزم عليه:

أما الاعتراض الخامس قال ابن حزم: [ثم ذكر هذا الزنديق الجاهل قول الله تعالى: [فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ] (الرحمن: ٣٩) ثم قال في آية أخرى: [فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ] (الأعراف: ٦) قال: وهذا تناقض.

قال أبو محمد: لو فهم هذا المائق الجاهل أدنى فهم لم يجعل هذا تعارضاً أما قوله تعالى: [فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ] فإن ما بعد هذه الآية متصلاً بها قوله تعالى: [فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ] ﴿٤٠﴾ يُعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسَيِّئِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ] (الرحمن: ٤٠-٤٥) فصح بهذا النص أنَّ هذا إنما هو في حين إيرادهم جهنم التي هي إن شاء الله دار هذا الخسيس ذي الظهارة اليهودية والبطانة الدهرية ولا ريب في أنه إذا أخذ بناصيته وقدميه ليهوي بها في النار، نار جهنم، فإنه لا يسأل عن ذنبه يومئذ. أما قوله تعالى: [فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن/ البغوي. ج ٥، ص ١٩٨

الْمُرْسَلِينَ، فإنما ذلك في أول وقوفهم يوم البعث وحين المسألة والحساب. فارتفع التناقض الذي لا مدخل له في شيء من القرآن ولا في كلام النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

جاء تفسير هذه الآية في فتح القدير: [لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ]<sup>(٢)</sup>: أي يوم تتشق السماء لا يسأل أحد من الإنس ولا من الجن عن ذنبه، لأنهم يعرفون بسيماهم عند خروجهم من قبورهم، والجمع بين هذه الآية وبين مثل قوله: [فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ]<sup>(٣)</sup> أن ما هنا يكون في موقف والسؤال في موقف آخر من مواقف القيامة. وقيل: لا يسألون سؤال استفهام لأن الله سبحانه وتعالى أحصى الأعمال وحفظها على العباد، لكن سؤال توبيخ وتقريع<sup>(٤)</sup>. أما قوله تعالى: [فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ]<sup>(٥)</sup>: هذا وعيد شديد، والسؤال للقوم الذي أرسل الله إليهم الرسل من الأمم السالفة للتقريع والتوبيخ، واللام القسم أي: لنسألهم عما أجابوا به رسلهم عند دعوتهم، ولنسأل المرسلين أي: الأنبياء الذين بعثهم الله، أي نسألهم عما أجاب به أممهم عليهم، وقيل: المعنى فلنسأل الذين أرسل إليهم يعني الأنبياء ولنسأل المرسلين يعني الملائكة ولا يعارض هذا قول الله تعالى: [وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ]<sup>(٦)</sup> لما قدمنا غير مرة أن الآخرة مواطن، ففي مواطن يسألون وفي مواطن لا يسألون، وهكذا سائر ما ورد مما ظاهره التعارض بأن أثبت تارة ونفي أخرى بالنسبة ليوم القيامة. فإنه محمول على تعدد المواقف<sup>(٧)</sup>.

(١) الرد على ابن النغيلة اليهودي/ ابن حزم، ص ٥١

(٢) سورة الرحمن : الآية ٣٩

(٣) سورة الحجر : الآية ٩٢

(٤) فتح القدير/ الشوكاني، ج ٥، ص ١٣٨

(٥) سورة الأعراف : الآية ٦

(٦) سورة القصص : الآية ٧٨

(٧) فتح القدير/ الشوكاني، ج ٢، ص ٢١٥

أما ما جاء في تفسير الطبري لقول الله تعالى: [فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ] فيومئذ لا يسأل الملائكة المجرمين عن ذنوبهم، لأن الله قد حفظها عليهم، ولا يسأل بعضهم عن ذنوب بعض. وقال: كان مجاهد يقول: لا يسأل الملائكة عن المجرمين يُعرفون بسيماهم<sup>(١)</sup>.

ويقول في تفسير قول الله تعالى: [فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ] يقول: ولنسألن الرسل الذين أرسلتهم إلى الأمم، هل بلغتهم رسالاتي وأدّت إليهم ما أمرتهم بأدائه إليهم، أم قصّروا في ذلك ففرطوا ولم يبلغوهم؟. قال: عن ابن عباس قوله: [فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ] قال: يسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين ويسأل المرسلين عما بلغوا<sup>(٢)</sup>.

ويقول القرطبي في تفسيره: [فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ] هذا مثل قوله تعالى: [وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ] أَنَّ الْقِيَامَةَ مَوَاطِنَ لَطُولِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَيُسْأَلُ فِي بَعْضٍ وَلَا يُسْأَلُ فِي بَعْضٍ وَهَذَا قَوْلُ عَكْرَمَةَ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى لَا يُسْأَلُونِي إِذَا اسْتَقَرُّوا فِي النَّارِ. وَقَالَ الْحَسَنُ وَقْتَادَةَ: لَا يُسْأَلُونَ عَنْ ذُنُوبِهِمْ لِأَنَّ اللَّهَ حَفِظَهَا عَلَيْهِمْ، وَكَتَبَهَا عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ. وَعَنِ الْحَسَنِ وَمَجَاهِدٍ أَيْضاً: الْمَعْنَى لَا تَسْأَلُ الْمَلَائِكَةُ عَنْهُمْ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ، دَلِيلُهُ مَا بَعْدَهُ. وَقَالَ مَجَاهِدٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَنْهُ أَيْضاً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: [فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ] وَقَوْلُهُ: [فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ] وَقَالَ: لَا يُسْأَلُهُمْ لِيَعْرِفَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، لِأَنَّهُ أَعْلَمَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ، لَكِنَّهُ يُسْأَلُهُمْ لَمْ عَمَلَتْموها سَوْأَلِ تَوْبِيخٍ<sup>(٣)</sup>

(١) تفسير الطبري جامع البيان/ ابن جرير الطبري، ج ٢٣، ص ٥١ - ٥٢

(٢) نفس المصدر، ج ١٢، ص ٣٠٦

(٣) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي/ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري

الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م)؛ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢، القاهرة:

دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م. ج ١٧، ص ١٧٤

ويقول القرطبي في قوله تعالى: [فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ] أي الملائكة الذين أرسلوا إليهم. واللام في [فَلَنَسْأَلَنَّ] لام قسم وحقيقتها التوكيد<sup>(١)</sup>.

نجد أنَّ الإمام ابن حزم في رده على هذا الاعتراض قد اختصر ولم يسهب فيه وقد وافق الإمام القرطبي في بعض الجزئيات أنهم لا يسألون عند إيرادهم النار. **الاعتراض السادس ورد ابن حزم عليه:**

أما عن الاعتراض السادس لابن النخيلة قال ابن حزم: [ثم ذكر هذا الزنديق الجاهل قول الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: [فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ..]]<sup>(٢)</sup> قال هذا المجنون: فهذا محمد كان في شك مما ادعاه.

قال أبو محمد: [كان يلزم هذا الخسيس أن لا يتكلم في لغة لا يحسنها، ولكن أبى الله تعالى إلا أن يكشف سوءته ويبيد عورته. وليعلم أن [إن] في هذه الآية ليست التي بمعنى الشرط، لأنَّ من المحال العظيم الذي لا يتمثل في فهم من له مسكة أن يكون إنسان يدعو إلى دين يقاتل عليه وينازع فيه أهل الأرض ويدين به أهل البلاد العظيمة ثم يقول لهم: إني في شك مما أقاتلكم عليه أيها المخالفون ولست على يقين مما أدعوكم إليه وأحققه لكم أيها التابعون، إلى مثل هذا السخف الذي لا يتصور إلا في مثل دماغ هذا المجنون الجاهل. وإنما معنى [إن] ها هنا الجحد فهي هنا بمعنى [ما] وهذا المعنى هو أحد موضوعاتها في اللغة العربية، كما قال تعالى أمراً نبيه ﷺ أن يقول: [إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ]<sup>(٣)</sup> بمعنى: ما أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون، كما ذكر الله عز وجل عن الأنبياء أنهم قالوا: [إِنْ كُنْ إِلَّا

(١) تفسير القرطبي/ القرطبي، ج٧، ص ١٦٤

(٢) سورة يونس : الآية ٩٤

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٨٨

بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ<sup>(١)</sup> وكما قال تعالى مخبراً عن النسوة إذ رأين يوسف عليه السلام فقلن: [إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ]<sup>(٢)</sup> بمعنى: ما هذا إلا ملك كريم، وكما قال تعالى: [لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ هَؤُلَاءِ نَحْنُذُنُهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ]<sup>(٣)</sup> أي ما كنا فاعلين. فعلى هذا المعنى خاطب نبيه عليه السلام: فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك، ثم قال تعالى فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك، لقد جاءك الحق من ربك بمعنى ولا أعداؤك الذين يقاتلونك من الذين أوتوا الكتاب من قبلك ما هم أيضاً في شك مما أنزلنا إليك بل هم موقنون بصحة قولك وأنت نبي حق، رسول الله ﷺ، لا شك عندهم في أن الذي جاءك الحق. ومثل هذا أيضاً قوله تعالى: [وَإِنْ كَانَتْ مَكْرَهُمْ لِنَزُولِ مِنْهُ الْحَبَالِ]<sup>(٤)</sup> تهويناً له: وكذلك قوله تعالى: [قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبْدِينَ]<sup>(٥)</sup>، بمعنى ما كان للرحمن ولد فأنا أول الجاحدين لا يكون له ولد. فوضح جهل هذا المعارض وضعف تمييزه، والحمد لله رب العالمين<sup>(٦)</sup>.

يقول الطبري في تفسيره: [فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ]<sup>(٧)</sup> فإن كنت يا محمد في شك من حقيقة ما اخترناك فأنزلنا إليك، من أن بني إسرائيل لم يختلفوا في نبؤتك قبل أن تبعث رسولاً إلى خلقه، لأنهم يجدونك عندهم مكتوباً، ويعرفونك بالصفة التي أنت موصوف بها في كتابهم في التوراة والإنجيل. [فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ]، من أهل التوراة والإنجيل، لعبد الله

(١) سورة إبراهيم : الآية ١١

(٢) سورة يوسف : الآية ٣١

(٣) سورة الأنبياء : الآية ١٧

(٤) سورة إبراهيم : الآية ٤٦

(٥) سورة الزخرف : الآية ٨١

(٦) الرد على ابن النغيلة اليهودي/ ابن حزم، ص ٥٣ - ٥٤

(٧) سورة يونس : الآية ٩٤

ابن سلام ونحوه، من أهل الصدق والإيمان بك منهم، دون أهل الكذب والكفر بك منهم.

وذكر أقوال بعض أهل التفسير: عن سعيد بن جبير في قوله: [فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ] قال: ما شك وما سأل وعن قتادة: [فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ] ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال: لا أشك ولا أسأل.

فإن قال: فما وجه مخرج هذا الكلام، إذن إن كان الأمر على ما وصفت؟ قيل: قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا، استجازه العرب قول القائل منهم لمملوكه (إن كنت مملوكي فانتبه إلى أمري) والعبد المأمور بذلك لا يشك في سيده القائل له ذلك أنه عبده. كذلك قول الرجل منهم لابنه: (إن كنت ابني خبرني)، وهو لا يشك في ابنه أنه ابنه، وأن ذلك من كلامهم صحيح مستفيض فيهم، وأن منه قول الله: [وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>]، وقد علم جل ثناؤه أن عيسى لم يقل ذلك. وهذا من ذلك، لم يكن ﷺ شاكاً في حقيقة خبر الله وصحته، والله تعالى ذكره بذلك من أمره كان عالماً، لكنه جل ثناؤه خاطبه خطاب قومه بعضهم بعضاً، إذ كان القرآن بلسانهم نزل<sup>(٢)</sup>.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: قال قتادة بن دعامة: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: [لا أشك ولا أسأل]، وكذلك قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصري وهذا فيه تثبت بداهة وإعلام لهم أن صفة نبيهم ﷺ موجودة في الكتب المتقدمة التي بأيدي أهل الكتاب كما قال تعالى: [الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ]<sup>(٣)</sup> ثم مع هذا العلم الذي يعرفونه من

(١) سورة المائدة : الآية ١١٦

(٢) تفسير الطبري جامع البيان/ ابن جرير الطبري، ج ١٥، ص ٢٠٣

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٥٧

كتبهم كما يعرفون أبناءهم يلبسون ذلك ويحرفونه ويبدلونه ولا يؤمنون به مع قيام الحجة عليهم<sup>(١)</sup>.

قال الزمخشري في تفسيره لهذه الآية: [فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ] <sup>(٢)</sup> فَإِنْ قُلْتَ: كيف قال لرسول الله ﷺ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مع قوله في الكفرة وإنهم لفي شك منه مريب قلت: فرق عظيم بين قوله إنهم لفي شك منه مريب بإثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق، وبين قوله فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ بمعنى الفرض والتمثيل، كأنه قيل: فَإِنْ وَقَعَ لَكَ شَكٌّ مِثْلًا وَخَيْلٌ لَكَ الشَّيْطَانُ خَيْالًا مِنْهُ تَقْدِيرًا فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ ذَكَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ قَرَأُوا كِتَابًا، وَوَصَفَهُمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ قَدْ جَاءَهُمْ، لِأَنَّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَكْتُوبٌ عَنْهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَهُمْ يَعْرِفُونَهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُؤَكِّدَ عِلْمَهُمْ بِصَحَّةِ الْقُرْآنِ وَصَحَّةِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيُبَالِغَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: فَإِنْ وَقَعَ لَكَ شَكٌّ فَرَضًا وَتَقْدِيرًا - وَسَبِيلٌ مِنْ خَالَجَتِهِ شُبْهَةٌ فِي الدِّينِ أَنْ يَسَارِعَ إِلَى حُلِّهَا وَإِمَاطَتِهَا، إِمَّا بِالرُّجُوعِ إِلَى قَوَانِينِ الدِّينِ وَأَدْلَتِهِ، وَإِمَّا بِمُقَادَحَةِ الْعُلَمَاءِ الْمُنْبِهِينَ عَلَى الْحَقِّ - فَسَلْ عُلَمَاءَ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَالْغَرَضُ وَصْفُ الْأَحْبَارِ بِالرُّسُوخِ فِي الْعِلْمِ بِصَحَّةِ مَا أَنْزَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، لَا وَصْفُ رَسُولِ اللَّهِ بِالشَّكِّ فِيهِ.

ويجوز أن يكون على طريقة التهيج والإلهاب، كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين. ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ولزيادة التثبيت والعصمة، ولذلك قال ﷺ عند نزوله (لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق) وعن ابن عباس رضي الله عنه: لا والله، ما شك طرفة عين، ولا سأل أحدا منهم، وقيل خوطب رسول الله ﷺ والمراد خطاب أمته. ومعناه: فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) / أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م)؛ تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات

بيضون، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م. ج ٤، ٢٥٨

(٢) سورة يونس: الآية ٩٤

كقوله وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً وقيل: الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك، كقول العرب: إذا عز أخوك فهن. وقيل: [إن] للنفي، أى: فما كنت في شك فاسأل، يعنى: لا نأمرك بالسؤال لأنك شاك، ولكن لتزداد يقينا، كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعانيه إحياء الموتى<sup>(١)</sup>.

نجد أن الإمام ابن حزم في رده على هذا الاعتراض فقد وافق بعض أقوال المفسرين المذكورين وزاد عليهم في تفسير هذه الآية وتوضيح معانيها في اللغة وإقامة الدليل والحجة عليه

#### الاعتراض السابع ورد ابن حزم عليه:

قال ابن حزم: [ثم ذكر هذا المائق الجاهل قوله تعالى في وصف العسل: إِنَّ فِيهِ شِفَاءً لِلنَّاسِ]، فقال وكيف هذا وهو يؤدي المحمومين وأصحاب الصفراء المحترقة؟].

قال أبو محمد راداً لقوله: [لو كان مع هذا الجاهل الأنوك أقل معرفة بطبائع الإنسان أو فهم مخارج اللغة العربية لم يأت بهذا البرسام. أما اللغة فإن الله تعالى لم يقل: العسل شفاء لكل علة، وإنما قال تعالى: [فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ]؛ وهذا لا ينكره إلا رقيق سليب العقل والحياء أو موسوس، لأن منافع العسل وشفاءه في إسخان المبرودين وتقطيع البلغم وتقوية الأعضاء حتى صار لا يطبخ أكثر الأشرية إلا به ولا يعجن جميع اللعوقات إلا به، وما وصف

---

(١) الكشف/ الزمخشري، ج٢، ص ٣٧١

جالينوس<sup>(١)</sup> وبقرات<sup>(٢)</sup>، وهما عميدا أهل الطب، طبخ شيء من الأشربة إلا به جملة، وما ذكرنا قط أن يطبخ شراب بسكر<sup>(٣)</sup>.

قال القرطبي في تفسير قوله: [فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ] قال الجمهور: أي في العسل شفاء للناس لأن أكثر الأشربة والمعجونات التي يتعالج بها أصلها من العسل.

---

(١) جالينوس الحكيم الفيلسوف الطبيعي اليوناني من أهل مدينة فرغاموس من أرض اليونانيين إمام الأطباء في عصره ورئيس الطبيعيين في وقته ومؤلف الكتب الجليلة في صناعة الطب وغيرها من علم الطبيعة وعلم. وقال أبو الحسن علي ابن الحسين المسعودي كَانَ جالينوس بعد المسيح بنحو مائتي سنة وبعد بقرات بنحو ستمائة سنة وبعد الإسكندر بنحو خمسمائة سنة ونيف ولا أعلم بعد أرسطوطاليس أعلم بالطبيعي من هذين الفاضلين أعني بقرات وجالينوس. وقال ابن جليل الأندلسي بلد جالينوس من بلاد آسيا شرقي قسطنطينية وَكَانَتْ مدينة جالينوس اسمها فرغميس ويقال فرغمين، وطاف جالينوس البلاد وجالها وتنتقل إلى مدينة رومية مرتين وسكنها وغزا مع ملكها لتدبير الجرحي وبرع في الطب والفلسفة وجميع العلوم الرياضية وهو ابن سبع عشرة سنة وأوفى وهو ابن أربع وعشرين سنة وجدد من علم بقرات وشرح كتبه ما كَانَ قَدْ درس وفاق أهل زمانه وَكَانَتْ لَهُ بمدينة رومية مجالس مقامية خطب فيها وأظهر من علمه بالتشريح ما عرف به فضله وبان به علمه فخرج من رومية يريد بيت المقدس فجاز إلى صقلية وهي يومئذ سلطانية فمات هنالك وقبره بها وعاش ثمانياً وثمانين سنة وهو مفتاح الطب وبأسطه وشارحه بعد المتقدمين. إخبار العلماء بأخبار الحكماء/ جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ابن إبراهيم الشيباني القفطي (ت ١٢٤٩هـ/ ١٢٤٩م)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ص ٩٩ - ١٠٥

(٢) بقرات بن إيراقلس إمام فهم معروف مشهور معنى ببعض علوم الفلسفة وهو سيد الطبيعيين في عصره وَكَانَ قبل الإسكندر الأكبر بنحو مائة سنة وله في الطب تأليف شريفة موجزة الألفاظ مشهورة في جميع العالم بَيَّن المتعنين بعلم الطب ويقال أنه من أهل اسقليبيدس قلت إن كَانَ من ولد اسقليبيدس الثاني فممكّن وإن كَانَ من الأول فمستحيل لأنّ الجَم الغفير من المؤرخين عَلَى أن النسل انقطع بالطوفان إِلَّا من ولد نوح وهم سام وحام ويافت وإذا صح ما ذكر بَيَّن زمن اسقليبيدس الأول وبين زمن بقرات وهو آلاف سنين كَانَ اسقليبيدس قبل الطوفان وَقَدْ انقطع نسله به فلا سبيل لأحد أن ينسب إِلَيْهِ بوجه إِلَّا من ينكر عموم الطوفان من الطوائف القائلة بذلك والله أعلم وَكَانَ مسكنه بمدينة فيروها وهي مدينة حمص من بلاد الشام كَانَتْ كتب بقرات أقدم كتب الطب المنقولة إلينا وهو أشهر الأطباء الَّذِينَ انتهت إليهم صناعة الطب وَكَانَ بعده في الشهرة جالينوس. اختلف في أول من استنبط الطب وَفِي أول الأطباء قال إسحاق بن حنين (٢١٥ - ٢٩٨ هـ / ٨٣٠ - ٩١٠ م) في تاريخه قال قوم ان أهل مصر. وقال آخرون أن هرمساً استخرج جميع الصنائع والفلسفة والطب مما استخرجه هو وبعضهم يقول أن أهل قوس ويقال استخرجوها وبعضهم يقول ذَلِكَ أن الأدوية الَّتِي ألَفَتْهَا القابلة للملك الذي كَانَ لَهَا وبعض يقول المستخرج لَهَا السحرة وقيل أهل بابل وقيل أهل فارس وقيل الهند وقيل اليمن وقيل الصقالبة. فأما يحيى النحوي الإسكندري فإنه ذكر في تاريخه عَلَى الولاء من تولي الطب رئاسة إلى زمن جالينوس ثمانية . وبقرات هو السابع من الثمانية الذين من اسقليبيدس الأول مخترع الطب على الولاء وجالينوس الثامن وإليه انتهت الرئاسة وَلَمْ يلقه جالينوس بل كَانَ بَيْنَهُمَا ستمائة وخمس وستون سنة وعاش بقرات خمساً وتسعين سنة منها طبيباً ومتعلماً. ونقل من خط إسحاق عاش بقرات تسعين سنة. إخبار العلماء بأخبار الحكماء/ جمال الدين القفطي. ص ٧٤

(٣) الرد على ابن النغيلة اليهودي/ ابن حزم، ص ٥٥

اختلف العلماء في قوله تعالى: [فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ] هل هو على عمومه أم لا؟ فقالت طائفة على العموم في كل حال ولكل أحد. فروي عن ابن عمر أنه كان لا يشكو قرحة ولا شيئاً إلا جعل عليه عسلاً حتى الدمل إذا خرج عليه طلى عليه عسلاً. وحكى النقاش عن أبي وجرة أنه كان يكتحل بالعسل ويستمشي بالعسل ويتداوى بالعسل، وروي أن عوف بن مالك الأشجعي مرض ف قيل له ألا نعالجك؟ فقال: إئتوني بالماء، فإن الله تعالى يقول: [وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا] <sup>(١)</sup> ثم قال: إئتوني بعسل، فإن الله تعالى يقول: [فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ] وإئتوني بزيت فإن الله تعالى يقول: [مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ] <sup>(٢)</sup> فجاءوه بذلك كله فخلطه جميعاً ثم شربه فبرئ.

وقالت طائفة إن ذلك على الخصوص ولا يقتضي العموم في كل علة وفي كل إنسان بل إنه خبر عن أنه يشفي كما يشفي غيره من الأدوية في بعض وعلى حال دون حال، ففائدة الآية إخبار منه في أنه دواء لما كثر الشفاء به وصار خليطاً ومعيناً للأدوية في الأشربة والمعاجين. وقد اتفق الأطباء عن بكرة أبيهم على مدح عموم منفعة السكنجبين في كل مرض، وأصله العسل وكذلك سائر المعجونات.

أن رسول الله ﷺ قد أمر الذي يشتكي بطنه بشرب العسل، فلما أخبره أخوه بأنه لم يزد إلا استطلاقاً أمره بعود الشراب له فبرئ، وقال: (صَدَقَ اللَّهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلًا) <sup>(٣)</sup> وقال أيضاً ﷺ: (إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَّتِكُمْ - أَوْ: يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَّتِكُمْ - خَيْرٌ، فَفِي شَرْطَةِ مَحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَكْتُوِي) <sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup>

(١) سورة ق : الآية ٩

(٢) سورة النور : الآية ٣٥

(٣) صحيح البخاري، كتاب الطب ، باب الدواء بالعسل، حديث ٥٦٨٤ ج٧، ص ١٢٣

(٤) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، حديث ٥٦٨٣ ج٧، ص ١٢٣

(٥) الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي، ج ١٠، ص ١٣٦ - ١٣٨

## الاعتراض الثامن ورد ابن حزم عليه:

قال ابن حزم: [ثم ذكر هذا الزنديق الجاهل قول الله تعالى: [وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً مُبَرَّكَاً] <sup>(١)</sup> وقال: كيف يكون مباركاً وهو يهدم البناء، ويهلك كثيراً من الحيوان؟.

ورد الإمام ابن حزم على قوله: أما درى هذا الجاهل أنه لولا شرب الماء لم يكن في الأرض حيوان أصلاً لا إنسان ولا ما سواه، وأن عناصر جميع المياه الظاهرة على وجه الأرض والمختزنة في أعماقها إنما هي من مواد القطر النازل من السماء؟ أما رأى هذا الأثوك أن الأمطار إذا كثرت غزرت العيون وفهقت الأنهار وطفحت البرك وامتألت الآبار وسالت السيول وتفجرت في الأرض ينابيع؟ حتى إذا قلت الأمطار وضعفت العيون ونقصت الأنهار وجفت البرك والآبار وانقطعت السيول وغارت الينابيع، خشنت الصدور وفسد الهواء؟ أما رأى أنه لا نماء لشيء من النبات كله، منزرعه وصحراويه، وجميع الشجر بساتينها وشعرائه <sup>(٢)</sup> إلا بالماء النازل من السماء؟ أما قرأ في هديانهم الذي يسمونه [توراة] امتتان الله تعالى في صفة الأرض المقدسة بأنها لا تسقى من النيل، كما تسقى أرض مصر لكن من ماء السماء؟ <sup>(٣)</sup>.

جاء في موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة عن أهمية الماء للحياة كما جاء في قول الله تعالى: [وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ] <sup>(٤)</sup> إن الحياة على وجه الأرض حياة الإنسان، وحياة الحيوان، وحياة النبات، قوامها الماء، فالماء هي الوسيط الوحيد الذي يحمل الأملاح والمواد الغذائية منحلة إلى الكائن الحي، ولو لا الماء لما كان على وجه الأرض حياة.

---

(١) سورة ق : الآية ٩

(٢) شعراء: أشعر [مفرد]: ج أشاعر وشعر، مؤنث شعراء، جمع مؤنث شعراوات وشعر: صفة مشبهة تدل على الثبوت من شعر ° أشعر أظفر: طويل الشعر والأظفار - أشعر الرقبة: قوي شديد، تشبيها له بالأسد - داهية شعراء: وبراء - روضة شعراء: كثيفة العشب. معجم اللغة العربية المعاصرة/ د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) بمساعدة فريق عمل؛ ط ١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م. ج ٢، ص ١٢٠٦

(٣) الرد على ابن النغريلة اليهودي/ ابن حزم، ص ٥٦

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٣٠

ولكن من منا يعرف أنه في كل ثانية حصراً في كل ثانية تمضي يهطل من السماء إلى الأرض على مستوى الكرة الأرضية ستة عشر مليون طن من الماء. قال تعالى: [أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا] <sup>(١)</sup> من أجل قوام الحياة، لكن السقوط يتبدى فيه لطف الله تعالى بعباده، فلو أن هذا الماء هوى على الأرض بشكل متصل مجمّع لأتلف كل شيء، ولحطم كل شيء، ولأنهى الحياة، ولكنه ينزل على شكل قطرات صغيرة فيها لطف، وفيها رحمة وفيها حكمة. وقال سبحانه وتعالى: [وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم] <sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: [فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا] <sup>(٣)</sup> ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا <sup>(٤)</sup> فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا <sup>(٥)</sup> وَعِنَبًا وَقَضْبًا <sup>(٦)</sup> وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا <sup>(٧)</sup> وَحَدَائِقَ غُلْبًا <sup>(٨)</sup> وَفَيْكِهَةً وَأَبًّا <sup>(٩)</sup> مَّتَعًا لَكُمْ وَلَا تَعْمِكُمْ <sup>(١٠)</sup>]

(١) سورة عبس : الآية ٢٥

(٢) سورة الحجر : الآية ٢١

(٣) سورة عبس : الآيات ٢٤ - ٣٢

(٤) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة/ محمد راتب النابلسي، ط٢، سوريا، دمشق: دار المكتبي،

١٤٣٦هـ/٢٠١٥م. ص ٨٣ - ٨٥